وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر– بسكرة –

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

دلالة السياق في فهم النص

سورة يوسف أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص : علوم اللسان العربي

إعداد الطالب :

عبد الفتاح خمار

إشراف :

د/ دندوقة فوزية

السنــة الجـامـعية :

1436/1435هـ

2015/2014م

وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا

صدق الله العظيم

النساء/113

شكر وعرفان

عن أبي سعيد مرفوعاً : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿من لم يشكر الناس لم يشكر الله﴾ رواه أحمد والترمذي وحسنه.

إذا كان هناك شكر فهو لله سبحانه وتعالى عن كثير فضله

وسائر نعمه على توفيقنا لإتمام هذا العمل كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى

من كان لنا خير سند في عملنا هذا ونخص بالذكر أستاذتنا المشرفة

التي أنارت طريقنا طيلة مشوار هذا البحث فكانت خير موجهة لنا حيث

زرعت فينا روح البحث والعمل الجاد وتحملت معنا مشاق انجازه

وأمدتنا بنصائحها القيمة وتوجيهاتها الصائبة والراشدة

وكانت خير معينة ومرشدة،

الأستاذة الفاضلة د . دندوقة فوزية

فلها منا أسمى عبارات التقدير والاحترام.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم معنا في إنجاز هذا العمل.

مقـــــدمة

الحمد لله الذي جعلنا من أمة العرب، التي أعلى شأنها وبارك مقامها؛ إذ أنزل وحيه الكريم بلغتها، فارتوت بماء الخلود، مما زادها سموّا وإجلالا، وقيض لها رجالا، يذبّون عن حياضها، ويشدّون عضدها عند اشتداد الكروب.

والحمد لله الذي أظهر على أيديهم مفاتيح علوم اللغة من صرف ونحو وبلاغة...، فكانت دراسة السياق مبحثا من مباحثها، للولوج لبحر وحيه الكريم، واقتناص ما حواه من درر مقاصد الشريعة الإسلامية، فتضافرت جهود اللغويين والبلاغيين والأصوليين والمفسرين، وتوحدت آراؤهم في أهمية السياق، لكن استخداماتهم له تنوعت تنوع علومهم.

فالسياق يعد من القضايا التي نالت اهتمام العلماء والباحثين، منذ القديم، وهذا ما حملني على اختياره مجالا للبحث، فجاءت دراستنا موسومة بـ (دلالة السياق في فهم النص، سورة يوسف أنموذجا).

وشرف البحث –لا شك– من شرف موضوعه، لذا فإن أهمية هذا الموضوع تكمن في أهمية السياق في الدراسات الحديثة، وحتى القديمة، نظرا للدور المهم الذي يؤديه في الكشف عن المعنى.

وسعيا منا لتحقيق أهداف هذه الدراسة التي من بينها إبراز دور السياق في الكشف عن المعنى وتحديد المعنى المراد من بين المعاني المتزاحمة على الألفاظ.

انطلقنا من جملة تساؤلات منها: ما هو السياق؟ وما هي أنواعه؟ وما هي ملامح استخداماته في التراث العربي؟ وعند الغرب؟ وما هو السياق القرآني، وما أهميته عند علماء الأصول والمفسرين؟ وكل هذه التساؤلات وغيرها يدور في فلك الإشكالية الرئيسة، وهي:

– ما الدور الرئيس الذي يلعبه السياق في الكشف عن المعنى وفهم النص؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات جاءت خطة البحث وفق ما يأتي: مدخل، ومقدمة، وفصلان وخاتمة.

–المدخل: موسوم بمفهوم السياق وفيه تم الحديث عن السّـــيّاق في التراث العربي وعند الغرب، وعن أنــواع السياق بشكل عام.

– أما الفصل الأول فعنون بــ" السياق القرآني، وأركانه في آيات السجن وما قبله"، وفيه تم الحديث عن السّيّاق القرآنــي، بشكل خاص، وصولا إلى سورة يوسف، حيث حاولنا الكشف عن أهم مقاصدها، وعن سياقها، وعن سبب نزولها، ثم تناولنا بعض أركان السياق فيها بالتحليل وذلك في جزئها الأول المتعلق بقصة يوسف قبل رفعة شأنه؛ لأننا قسمنا السياق إلى (سياق السجن وما قبله)، و(سياق ما بعد السجن),

– الفصل الثاني موسوم بـ :"السياق وأركانه في آيات ما بعد السجن"، وهنا ركزنا فيه على سياق السورة – قيد الدراسة– في الجزء الثاني كما أسلفنا، فتوقفنا عند الأركان الرئيسة لسياقها كما جاءت عند المفسّرين، محللين ومعلقين، وشارحين.

وقد اقتضت منا طبيعة الدراسة اتباع المنهج الوصفي التحليلي، من أجل تبيان دلالة السياق في فهم النص، وتحليل أركان السياق القرآني الواردة في سورة يوسف. وركيزتنا في كل ذلك مجموعة من المصادر والمراجع، أهمها: تفسير التحرير و التنوير لمحمد الطاهر بن عاشور وتفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي والتفسير الموضوعي للحافظ المتقن لبهاء الدين رشيد، و نظرية السياق القرآني للمثنّى عبد الفتاح.

وقد واجهتنا بعض الصعوبات في إنجاز هذا البحث، أبرزها صعوبة دراسة النص القرآني، فخشيتنا من الخطأ في التحليل أو الاستنتاج لم تفارقنا طيلة فترة البحث، وتنوع استخدامات المفسرين للسياق، مما أدى إلى صعوبة فهمه. ولولا توجيهات الأستاذة المشرفة: د/فوزية دندوقة، وعنايتها الدائمة ببحثنا، لما تجاوزنا هذه الصعوبات، ولما وصل البحث إلى صورته هذه، فلها منا جزيل الشكر والعرفان.

مدخـــل
مفهـوم السيـــاق

أوّلا: تعريف السّـــيّاق

ثانـيا: السياق في التراث العربي وعند الغرب

ثالـثا: أنــواع السّيّــاق

أوّلاً: تعريف السياق

1– السياق لغــة:" من الجذر اللغوي (س وق) . سَوَقَ، سُقتُهُ، سَوقاً، ورَأيتُهُ يَسُوقُ سِيَاقاً أي يَنزِعُ نَزعاً عند الموت[1]". وذكر (ابن منظور)بأن:" السِّياقَ نزَعُ الروح".[2]

أمّا(ابن فارس) فقال: "السّين والواو والقاف أصلٌ واحدٌ. وهو حَدوُ الشَّيءِ. يُقَالُ سَاقَهُ يَسُوقُهُ سَوقاً. والسِّيَقَةُ ما استِيقَ مِنَ الدّوابِّ، ويقال: سُقتُ إلى امرأَتي صَدَاقَهاَ، وأَسَقتُهُ، والسُّوقُ مشتقة من هذا لما يُساَقُ إليها من كل شيء، والجمع أسواقٌ، والسَّاقُ للإنسان وغيره .والجمع سُوقٌ، إنما سميت بذلك لأن الماشي يَنسَاقُ عليها".[3]

وجاء في المعجم الوسيط:" السِّياقُ: المهْرُ، وسِياَقُ الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه ".[4]

2 – السياق اصطلاحاً:

على الرغم من تناول السيّاق في التّراث العربي؛ إلاّ أنّ اللّغويين والبلاغيّين والمفسّرين والأصوليّين استعملوه استعمالات متنوّعة ومتعدّدة، واعتمدوا عليه للاستفادة منه في فهم النّصوص وبنائها[5].

إلا أنّ بعض الدّارسين المحدثين كإبراهيم فتحي يرى بأنّه بيئة الكلام ومحيطه وقراءته.[6]

وقد أورد(جميل صليبا) للمصطلح ترجمتين: هما (**Contexte**) في الفرنسية، و(**Context**) في الإنجليزية، وقال إن: "سياق الكلام أسلوبه ومجراه، نقول وقعت هذه العبارة في سياق الكلام؛ أي جاءت متفقة مع مجمل النّص، وللتقيّد بسيّاق الكلام في تفسير النصوص وتأويلها فائدة

[1] – الخليل ابن أحمد الفراهيدي، العين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2002. مجلد 2، ص294.

[2]– ابن منظور (جمال الدين ابن مكرم) ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، م10، ط6، ص 167.

[3] – أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، م3، ص117.

[4]– مجمع اللغة العربية لجمهورية مصر، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م، ص 465 .

[5]– ينظر: ردة الله بن ردة، دلالة السياق، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية ،ط1، 1424هـ، ، ص41 .

[6]– إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقس، الجمهورية التونسية، 1986، ص 201 .

منهجية؛ لأنّ معنى العبارة يختلف باختلاف مجرى الكلام، فإذا شئت أن تفسّر عبارة من نص وجب عليك أن تفسّرها بحسب موقعها في سيّاق ذلك النّص"[1].

إذا فالسّياق هو تتابع الكلمات أو الفقرات تتابعاً متسلسلاً متجانسا في إطار الظروف والملابسات التي تحيط بها، ومراعاة لحال المتكلّم والسّامع، وهو الضّامن الوحيد لتحديد مدلول العبارات المتضمّن في الفقرات والنّصوص.

ثانـيا– السياق في التراث العربي وعند الغرب:

1– السياق في التراث العربي:

نظرا لأهميّة السياق في إجلاء معنى الكلمة المفردة داخل جملتها ، ونظرا لأنّ عملية الكشف عن المعنى من الاهتمامات الأساسية للمفسّرين والأصوليين والبلاغيين واللغويين، لكونه يساعدهم في استنباط الأحكام والمقاصد الشرعية من القرآن الكريم، فلذلك سعوا جادّين في استخدامه استخداما مميزا، وبمصطلحات متنوعة.

أ– السياق عند اللغويين:

اهتم اللغويون اهتماما كبيرا بتركيب الألفاظ بعضها ببعض.فقد تطرق(سيبويه)(ت180 هـ) في(الكتاب) إلى قضية الاستقامة والإحالة في الكلام بعنوان (هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة): " فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب؛ فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسآتيك غدا.وأمّا المحال فأن تنقض أوّل كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا، وسآتيك أمس.وأمّا المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء

[1]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ج 1، ص681.

البحر، ونحوه.وأمّا المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكي زيد يأتيك، وأشباه هذا.وأمّا المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس"[1]

فمذهب اللغويين يستند لمعيار الصدق والكذب، يفترض أنّه يجمع بين حسن التركيب والتوافق مع الواقع الخارجي؛فهذا المعيار يرتكز على:

- التطالب اللفظي .

- التوافق بين التركيب اللغوي والواقع الخارجي.

فالتطالب اللفظي هو الذي يفرضه أحد الألفاظ على الألفاظ الأخرى في الجملة، كما تطرق إليه سيبويه في حديثه عن المستقيم الحسن بين اللفظين (أتيتك وأمس) و(سآتيك وغدا) ؛ ممّا يقودنا إلى التّسليم بأنّ التّوافق الدّلالي بين الألفاظ يعدّ مطلبا أساسيا في الأداء السّليم للغة.

أمّا التوافق بين التركيب اللغوي والواقع الخارجي فهو ما تطرّق إليه سيبويه في حديثه عن المستقيم الكذب: (حملت الجبل، وشربت ماء البحر) إذا فليس كل تركيب لغوي صحيح نحويا، يحمل بالضرورة معنى صحيحا دائما؛بل يقودنا للالتباس في التسليم بصحة الدلالة للتنافي العقلي بين صحة التركيب ومقولات الواقع؛ لأنّها عمليات عقلية ناتجة عن تجربة اجتماعية غير لغوية، لكنّها تؤدّي دورها في قبول أو رفض دلالة تركيب ما.

فكما تطرق (سيبويه) لأقسام الكلام من حيث الاستقامة والإحالة، تحدّث (ابن فارس) (ت395هـ) عن الخبر بقوله: "الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه، وهو إفادة المخاطب أمرا في ماض من زمان أو مستقبل أو دائم.نحو(قام زيد) و(يقوم زيد) و(قائم زيد) .ثمّ يكون واجبا وجائزا وممتنعا. فالواجب قولنا: (النار محرقة) ، والجائز قولنا: (لقي زيد عمرا)، والممتنع قولنا: (حملت الجبل) "[2].

[1] – عمرو بن عثمان(سيبويه) ، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ، ط3، 1408هـ1988م، ج1، ص25، 26.

[2] – أحمد بن فارس بن زكريا،(ألصاحبي)، تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1418هـ1997م، ص133.

نستنتج أنّ (ابن فارس) قال بمصطلحات الامتناع والوجوب والجواز بناء على التسليم العقلي بصحّة الخبر في النّار محرقة، وجواز أن يلقى زيد عمرا أو غيره، وامتناع أن يحمل الجبل. فنظرا لتعدّد الدّلالة المعجمية للألفاظ الذي يظهر جليا في الترادف، والتضاد، والاشتراك، فقد أشار اللغويون إلى أنّ ذلك التّعدّد لا يكون إلاّ خارج السياق؛إذا لا مجال للدلالة المحتملة داخل السيّاق؛ لأنهّ يفرض عليها دلالة واحدة فقط.

قال (أبو بكر الأ نباري)* (ت328 هـ): "إنّ كلام العرب يصحّح بعضه بعضا، ويرتبط أوّله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلاّ باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادّين؛لأنّها يتقدّمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها في حال التّكلّم والإخبار إلاّ معنى واحداً"[1].

هذا رأيه في اللفظ من الأضداد، ثمّ عمّم حكمه على اللفظ المتعدّد المعاني بقوله: "ومجرى حروف الأضداد، مجرى الحروف التي تقع على المعاني المختلفة، وإن لم تكن متضادة، فلا يعرف المعنى المقصود منها إلاّ بما يتقدّم الحرف، ويتأخّر بعده ممّا يوضّح تأويله"[2].

فممّا سبق نستنبط مدى اهتمام اللغويين العرب بالسياق، ومن بينهم (أبو بكر الأ نباري) الذي شدّد على أهمية السياق في الكشف عن المعنى المقصود للكلمة أو الحرف داخل الجملة ؛لأن بواسطته يتم اقتناص المعنى المراد.

ب– السياق عند البلاغيين: عرف البلاغيّون العرب السياق، واستخدموه بمصطلحات متعدّدة، بل كانوا من السباقين لاستخداماته وما استعمالهم للمقولة الشهيرة (لكل مقام مقال) إلاّ دليل

*-أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري،النحوي،كان علامة وقته في الأدب،وأكثر الناس حفظا لها،وكان صدوقا ثقة دينا خيّرا من أهل السنة،صنّف كتبا كثيرة في علوم القرآن، وغريب الحديث والمشكل و "الوقف والابتداء" و"الرد على من خالف مصحف العامة"..."المقصور والممدود" و "المؤنث والمذكر". ولد في رجب 271هـ وتوفي في 327 هـ. (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح:محمد محي الدين عبد الحميد،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، مصر ،ط1 ،م3،ص463،464).

1 – أبي بكر الأ نباري، الأضداد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، 1960، ص2.

2– المصدر نفسه، ص3 ، 4.

على ذلك، لكن استخدامهم له كان بمصطلحات متعدّدة منها: الموقف، الحال، المقام، إلاّ أنّ المصطلحين: الموقف والمقام وردا بنفس معنى السياق، وقصد بهما الملابسات الخارجية المصاحبة للمقال، وهذا مانقله(الجاحظ)(ت255هـ) عن (عبد الله بن المقفع)* (ت142هـ) في وصفه للبلاغة: "وقال(إسحاق بن حسان بن قوهي): لم يفسّر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد قط.سئل ما البلاغة؟

قال: البلاغة: اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السّكوت ومنها ما يكون في الاستماع...إلى أن قال: فقيل له: فإن ملّ السامع الإطالة التي ذكرت أنّها حقّ ذلك الموقف؟

قال: إذا أعطيت كل مقام حقّه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو فإنّه لا يرضيهما شيء، وأمّا الجاهل فلست منه وليس منك.ورضا جميع الناس شيء لا تناله.وقد كان يقال: (رضا الناس شيء لا ينال) "[1] فسياسة المقام هي الإيجاز والإطناب بمراعاة انتباه السامع وعدم مله، والتفريق في الكلام عنده ؛أن يفرّق بين صدر خطبة العيد، وبين صدر خطبة النّكاح، وبين صدر خطبة الصّلح؛أمّا حق الكلام فهو النّظر لترابط المقامات.

ونقل(الجاحظ)عن (بشر بن المعتمر)*(ت210هـ)":قال:ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات؛فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتّى يقدّر أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسّم أقدار

*- عبد الله بن المقفع، البليغ المشهور،صاحب "اليتيمة"، وكان مجوسيا فاسلم على يد عيسى بن علي عم المنصور السفّاح.قال الخليل لما اجتمع به:رأيت علمه أكثر من عقله، وهو الذي عرّب "كليلة ودمنة" قتل بالبصرة بأمر من المنصور سنة 144هـ. (أحمد بن علي بن حجر(العسقلاني) ، لسان الميزان،تح:عبد الفتاح أبو غدّة،دار البشائر الإسلامية، بيروت لبنان،ط1، 1423هـ-2002م،ج5،ص22،21.

[1]- عمرو بن بحر(الجاحظ) ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني، القاهرة مصر، ط7، 1418هـ1998م، ج1، ص115، 116.

*- بشر بن المعتمر:العلامة، أبو سهل الكوفي ثم البغدادي، شيخ المعتزلة، وصاحب التصانيف. كان من القرامى الكبار أخباريا شاعرا متكلما...وله قصيدة طويلة في مجلد نام فيها ألوان...وله كتاب " تأويل المتشابه" وكتاب " الرد على الجهّال" و كتاب " العدل " توفي سنة 210هـ.(أحمد بن علي بن حجر(العسقلاني) ، لسان الميزان،تح:عبد الفتاح أبو غدّة،دار البشائر الإسلامية، بيروت لبنان،ط1، 1423هـ-2002م،ج5،ص314.

المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[1]، وكذلك الخطيب (القزويني)(ت739هـ) الذي عرّف (علم المعاني) بأنّه:"هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال، مع وفائه بغرض بلاغي يفهم ضمنا من السياق، وما يحيط به من القرائن، أو هو علم يبحث في الجملة بحيث تأتي معبّرة عن المعنى المقصود"[2]، وعرّف بلاغة الكلام بأنّها: "مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"[3].

فمن جملة ما سبق نخلص إلى أنّ اهتمام البلاغيين بالسياق كان واضحا وجليا؛ من خلال استخداماتهم له وإعطائهم له قيمة قصوى في عملية بنائهم ونسجهم للتراكيب اللغوية، وكذلك في عملية تحليلهم لهذه التراكيب اللغوية وتفكيكها بغرض الوصول إلى المعنى المراد،

1-السياق والنظم :وفيما يخص علاقة السياق بالنظم الذي عرّفه (عبد القاهر الجرجاني) (ت474هـ)بأنّه:"أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو، ويعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرّسوم التي رسمت لك، فلا تخل شيء منها"[4]، وقال:"واعلم أنّك إذا رجعت إلى نفسك، علمت علما لا يعترضه شك، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتّى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من النّاس.

وإذا كان كذلك أن ننظر إلى التّعليق فيها والبناء وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها، ما معناه وما محصوله، وإذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر..."[5]لما كان يعتبر هو العامل الأساسي في توضيح الدلالة من حيث اللُّبس أو الغموض للمفردة كان

2- المصدر نفسه، ج1، ص138، 139.

3- جلال الدين محمد بن عبد الرحمن(الخطيب القز ويني) ، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1424هـ-2003م، ص4.

3- المصدر نفسه، ص20.

4- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة مصر، ط1، 1991م، ص81.

5 -المصدر نفسه، ص55.

النّظم عند (عبد القاهر الجرجاني)هو إدراك القوانين النحوية التي تنظم الوحدات اللغوية بمنطق الصواب والخطأ،ويرى بعض الدارسين أنّ:

- تمسّك (عبد القاهر الجرجاني) بآرائه النّحوية فيما يخص التركيب.

- عدم تخلّي (عبد القاهر الجرجاني) عن النّظرة المعيارية.

- ويتفق(عبد القاهر الجرجاني) مع أصحاب النظرية السياقية الحديثة في ربطه النحو العربي سياقيا بالدلالة . [1]

إذا فالسياق هو خادم للنظم؛لأنّ النظم يوضّح الوجوه البيانية ويجليها ، وينظر في تناسب المعاني بألفاظها؛ لأنّه لا يكاد يبين المعنى ، حتّى يتم إبراز السياق من خلال دلالته المعنوية بسباقه ولحاقه، ومن ثم يتضح الوجه المبحوث عنه بواسطة النظم.[2]

ب- السياق عند الأصوليين: الأصوليون هم علماء أصول الفقه أو الفقهاء الذين تحدثوا عن الأدلة الشرعية للأحكام الفقهية، وقد اهتم هذا الفريق من العلماء بالسياق اهتماماً كبيراً، واعتدُوا به وسيلة للكشف عن المعنى المراد"[3].

ويمكن القول إنّ(الإمام الشافعي) (ت204هـ) أوّل الأصوليّين الذين تفطّنوا لأهمّيّة السيّاق في فهم وإدراك معاني النصوص. حيث أورد بابا في كتابه" الرسالة " أسماه: " باب الصّنف الذي يبين سياقه معناه"، ومن بين ما جاء فيه :تفسيره لهذه الآية الكريمة " قول الله تبارك وتعالى:

1- ينظر:عبد المنعم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية-مصر، ط1، 2007م، ص173، 174، 175.

2- ينظر: المثنى عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني، دار وائل للنشر، عمان الأردن، ط1، 2008م، ص19.

3-ردة الله بن ردة، دلالة السياق، ،مكتبة الملك فهد الوطنية،مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية،ط1، 1424هـ ص130 .

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾[1]. فابتدأ جلّ ثناؤه ذكر الأمر بمسألتهم عن القرية حاضرة البحر فلما قال:

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾: دلّ على أنّه إما أراد أهل القرية؛ لأن القرية لا تكون عادية ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا غيره، وإنه إنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون ".[2]

كما كان أيضا (ابن قيم الجوزية) (ت751هـ) من بين الأصوليين الذين اهتموا بالسياق وأولوه اهتماما خاصاّ، إذ يقول:"السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدّلالة، وهذا من أعظم القرائن الدّالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾[3] كيف تجد سياقه يدل على الذّليل الحقير".[4]

ففي قوله هذا يؤكّد على أهمّيّة السّيّاق في ضبط المعنى وتقيّيده له وذلك بإسقاطه – أي السياق – لباقي المعاني غير المقصودة من المتكلم.

ج– السّيّاق عند المفسّرين: استعان المفسّرون بالسّياق واهتمّوا به اهتماما كبيراً باعتباره وسيلة مهمة لاستجلاء المعنى المقصود للشّارع الحكيم من النص القرآني. المنفرد بسمات خصوصية عن

1 – سورة الأعراف، الآية 163.

[2]– محمد بن إدريس الشافعي،الرسالة، تح:أحمد محمد شاكر،مطبعة مصطفى ألبابي الحلبي وأولاده بمصر،جمهورية مصر العربية،ط1،ص 62، 63 .

[3]– سورة الدخان، الآية 49 .

[4] – محمد ابن أبي بكر بن أيوب(ابن قيم الجوزية) ، بدائع الفوائد، تح: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، جدة.السعودية، م4، ص9.

باقي أنواع النّصوص، إذ هو المصدر الأول للعقيدة والأحكام الإسلامية، وهو بهذه الاعتبارات اكتسب ثوب الجلال والتقديس[1]، فالنص القرآني: " كلام الله تعالى المنزّل على محمّد صلّى الله عليه وسلم المتعبّد بتلاوته"[2].وبما أنّ الصّحابة رضوان الله عليهم كانوا على علم بالظّروف التي تنزّلت فيها الآيات أو وردت بشأنها الأحاديث، اعتمد المفسرون وشرّاح الحديث على فهمهم للحديث أو للآية، وهذا ما أدى إلى نشأة مدرسة التفسير بالمأثور التي اعتمدت على الأخذ من هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم[3].

2 – السياق عند الغرب

أ– الإرهاصات الأولى للسياق عند الغرب: لم يكن العرب وحدهم الذين اهتمّوا بالسّيّاق واستخدموه استخدامات متعددة، بل شاركهم في ذلك العلماء الهنود، وهذا ما أشار إليه بعض الدّارسين، حيث يعتبر السياق من بين القضايا التي أشاروا إليها، ولا زال علم اللغة الحديث يعترف بها من حيث "أهمية السياق في إيضاح المعنى"[4].

وتعتبر جهود عالم الاجتماع والأجناس البشرية "برونسلاو مالينوفسكي" (1884-1942) **Malinovski Bronislaw** البولندي المولد، بمثابة حجر الأساس لنظرية السياق، وذلك عندما كان يترجم بعض الكلمات والجمل في اللغات البدائية (لغات الهنود الحمر في أمريكا) إلى اللغة الإنجليزية، فصادفته عدة صعوبات، حينها تأكد له أن الكلمة المعزولة عن سياقاتها لا تعدو أن تكون أصواتا مبهمة، فاقترح حلاً لهذه المشكلة، وهو ضرورة تحليل أنماط السياقات الكلامية من ناحية، ومراعاة ملابسات الظروف غير اللغوية المصاحبة من ناحية أخرى، ومن ثم توصل إلى أن

[1] – ردة الله بن ردة، دلالة السياق، ، مكتبة الملك فهد الوطنية،مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1423هـ، ص103.

[2] – مناع القطان مباحث علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط7، ص 16.

[3] – ينظر: ردة الله بن ردة، دلالة السياق، ، مكتبة الملك فهد الوطنية،مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1423هـ، ص105.

[4]– أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط5، 1998، ص 19.

معنى الكلمة هو الوظيفة التي تؤديها في سياق ما، ثم ساق عبارته المشهورة **Context of situation** والتي تعني سياق الموقف أو الظروف الخارجية المصاحبة للأداء اللغوي[1].

ثم جاء بعده العالم اللغوي الفرنسي فندريس **Vendryes**، وأكّد على ضرورة الاهتمام بالسّيّاق في عملية التّحليل اللّغوي للنّصوص، فالسياق "هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على كل كلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها، في جو يحدّد معناها تحديداً مؤقتاً، والسياق: هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، على الرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، والسياق أيضا: هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورّية"[2]، ويذهب بعض الباحثين أنّه رغم جهود كل من مالينوفسكي و فندريس في نظرية السّياق إلا أنّ العالم الانجليزي (جون روبرت فيرث) (1890-1960) JR -firth يعتبر أوّل من حاول تأسيس نظرية سياقية ثابتة القواعد واضحة المعالم حينما قدم رؤيته الجديدة في مفهوم الدلالة في علم اللغة الحديث والتي تبنته مدرسته التي عرف بها "المدرسة الألسنية الاجتماعية"، حيث خلُص إلى أنّ لملابسات الظروف والأحداث أو سياق الحال دورا أساسيا في تحديد وضبط معنى الكلمة أو الجملة داخل النص[3]. كما اهتم بنوع آخر من السياق أسماه السياق اللغوي (linguistique context) ، ويعني به مجموعة الوظائف المستفادة من عناصر أداء المقال التي تحوزها الجملة[4]، غير أنّه أكّد أيضا على: " التوازي بين السياقات الداخلية والشكلية. وبين السياقات الخارجية للموقف"[5]؛ أي أن فيرث تبنى ما جاء به (مالينوفسكي) (سياق الحال)، واهتم أيضا بالسياق اللغوي .

---

[1] – ينظر عبد الفتاح عبد العلم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص55.

[2] – محمد إسماعيل بصل وفاطمة بله، ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، العدد 18، 1393هـ.س/2014م،جامعة تشرين،اللاذقية،سورية، ص4 .

[3] – المصدر نفسه: ص4، 5 .

[4] – ينظر عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص98 .

[5] – محمد إسماعيل بصل وفاطمة بله، ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، العدد 18، 1393هـ.س/2014م، جامعة تشرين،اللاذقية،سورية ،ص5 .

ب–أسس نظرية فيرث ونقدها: عندما صاغ فيرث نظريته حاول تبني أفكار مالينوفسكي وتطبيقها؛ أي أنّ الكلمات أو الجمل لا تؤدّي وظيفتها إلاّ في إطار الموقف الخارجي وفي ضوء علاقتها بالعناصر الأخرى. ومن ثم فأهم أسس نظرية فيرث تتمثل فيما يأتي:

– الاهتمام المتساوي بالسياقين الخارجي واللغوي في عملية التحليل.

– تثمين كل عناصر السياق اللغوي بصفة متساوية.

– رفض فكرة الوظيفة الأساسية؛ لأن كل وظيفة تعتبر أساسية في المقام الذي قيلت فيه.

– الاهتمام بالقاعدة التجريدية والأنماط الثانوية عكس مفاهيم النحو التقليدي.

– لا تعتبر اللغة نظاما شكليا فحسب، بل نتاج اجتماعي أيضا.

– ترى أن الجملة هي الوحدة الأساسية في الاستخدام اللغوي .

– تعتقد أنّ المفهوم النفعي للمعنى ذو طبيعة متغيرة، وذلك لارتباطه بالكلام الفعلي.

ورغم جهود فيرث ودوره الواحد في التأسيس للنظرية السياقية، إلاّ أن نظريته قد تعرضت لجملة من الانتقادات نجملها فيما يأتي[1]:

1– قدم فيرث نظرية للسيمانتيك، وليس نظرية شاملة للتركيب اللغوي؛ غير أن المعنى يعتبر مركبا من السيمانتيك والأصوات والنحو والمعجم .

2– عدم دقة فيرث في استخدام مصطلح السّياق Context مع أهميته، كما كان حديثه عن الموقف Situation غامضاً، وحديثه عن السياق مبالغا فيه .

3– منهج فيرث هذا مفيد لمن يريد تتبع استعمالات الكلمة، واستخداماتها العملية لا من تصادفه الكلمة التي عجز السياق عن إجلاء معناها[2].

[1] – ينظر عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، ص من 48 إلى 52.

[2]– أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط5، 1998،ص73، 74 .

ثالثا – أنواع السياق:

عدّد الدارسون المعاصرون في علم الدلالة أربعة أنواع للسياق، منهم من أسماها بشعب السياق[1]، كالدكتور أحمد مختار عمر، ومنهم من أسماها أنماط السياق، لكن رغم تعدد التسميات فالمعنى يبقى واحدا، وهذه الأنواع كالآتي:

ا– السّياق اللغوي: (linguistic context): يعرّف ردة الله بن ردة السياق اللغوي قائلا: "إنّ السياق اللغوي هو الأرض الخصبة التي تبذر فيها المباني اللفظية بنوعيها (الوظيفية والمعجمية)؛ لأنّ السياق كما يرى هايمز Dell Hymes يؤدي دورا مزدوجا: " إذ يحصر مجال التأويلات، ويدعم التأويل المقصود، ولذلك قال عنه أولمان إنه "الحارس الأمين للمعنى"[2]، إذا فالاستعانة بالمعجم لفهم اللفظ داخل الجملة لا يفي بالغرض؛ لأنّ للفظ عدة استعمالات، تتعلق بوضع المفردة، وفهمها دلاليا ولغويا، وعلاقتها بما قبلها أو بعدها، ففي المشترك اللفظي مثلا تتعدد المفاهيم للمفردة الواحدة.

أورد الإمام (السيوطي)(ت911هـ) في كتابه (المزهر في علوم اللغة وأنواعها) أبياتا (للخليل بن أحمد الفراهيدي) (ت175هـ) من السريع جاء فيها:

يا وَيحَ قَلبي مِن دَواعي الهَوى إِذ رَحَلَ الجيرانُ عِندَ الغُروب

أَتبَعتُهُم طَـرفي وَقَـد أَمعَنـوا وَدَمـعُ عَينَيَّ كَفَيضِ الغُروب

بانـــوا وَفيهــم طَفلَةٌ حَـرَّةٌ تَفتَرُّ عَن مِثلِ أَقاحي الغُروب

فالغروب الأول: غروب الشمس، والثاني جمع غرب: وهو الدّلو العظيمة المملوءة. والثالث جمع غرب: وهو الوهاد المنخفضة[3].

[1]– علي حميد خضير، دلالة السياق في النص القرآني، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في اللغة العربية وآدابها،إشراف:عبد الإله الصائغ، الأكاديمية العربية في الدانمارك،كوبنهاجن ،الدانمارك، ص41.

[2]– ردة الله بن ردة، دلالة السياق، مكتبة الملك فهد الوطنية ،مكة المكرمة،المملكة العربية السعودية، ط1، 1423هـ، ص103.

[3]– السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مكتبة دار التراث، القاهرة، ج1، ط3 (دت) ، ص376 .

ولولا السياق في هذه الأبيات الشعرية لما توصلنا إلى مفهوم مفردة (الغروب)؛ إذا فالسياق اللغوي هو الذي يحدّد مفهوم اللفظ داخل التركيب،أو"هو فهم النص ودراسته من خلال استعمال المفردة داخل نظام الجملة، وعلاقتها بما قبلها أو بعدها، فالرجوع إلى المعجم في فهم اللفظ في الجملة له استعمالات كثيرة، تتعلق بوضع المفردة وفهمها من كافة الجوانب لغة ودلالة"[1].

ب– السياق العاطفي (Enotional context):"اللغة–كما رأينا–يمكن أن تؤدّي وظيفتين رئيستين، قد تكون أداة للتعبير عن الحقائق والقضايا الموضوعية، وفي هذه الحالة يكون هدفها مجرد إيصال الأفكار ونقلها، ولكنها أيضا قد تكون أيضا ذات وظيفة عاطفية وديناميكية بصفة أساسية؛ أي أن وظيفتها حينئذ هي التعبير عن العواطف والانفعالات، وإثارة المشاعر والتأثير في السلوك الإنساني، والواقع أنّ هذين الجانبين موجودان في معظم أساليب الكلام، ولكن بنسب تتفاوت من القضايا المجردة ذات الصيغة المنطقية الخالصة إلى الأصوات التعجبية والصرخات التعبيرية"[2]، إذا للغة في نظر ستيفان أولمان Stephen Ullmann وظيفتان أساسيتان:

– وظيفة تعبيرية عن الحقائق والقضايا الموضوعية؛ أي خالية من القوالب العاطفية التي تشمل عبارات الفرح والحزن .

– ووظيفة عاطفية؛ أي أنها تكون مشحونة بالانفعالات والعواطف.

ولكي نتمكن من تحديد هذين الوظيفتين يرى (ستيفان أولمان) أنه يجب علينا الاستعانة بالسياق، فيقول:"السياق وحده هو الذي يوضّح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تُؤخذ على أنّها تعبير موضوعي صرف، أو أنّها قصد بها–أساسا– التعبير عن العواطف والانفعالات،وإلى إثارة هذه العواطف والانفعالات،ويتّضح هذا بصفة خاصة في مجموعة معينة من الكلمات نحو(حرّية

[1] – علي حميد خضير، دلالة السياق في النص القرآني، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في اللغة العربية وآدابها،إشراف:عبد الإله الصائغ، الأكاديمية العربية في الدانمارك،كوبنهاجن ،الدانمارك،ص41 .

[2] – ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال محمد بشير، مكتبة الشباب، ص92 .

وعدل) التي قد تشحن في كثير من الأحيان بمضمونات عاطفية.بل إنّ بعض الكلمات المستعملة في الحياة اليومية العادية قد يكتسب نغمة عاطفية قويّة غير متوقعة في المواقف الانفعالية"[1].ومنه يمكن القول إنّ (ستيفان أولمان) يرى أنّ السياق- العاطفي- هو الذي يكشف لنا عما تحدثه اللغة من تأثير عاطفي وانفعالي كالنبر والتنغيم، وكل ما يمكن أن يمثل الشعور الانفعالي لدى الإنسان، **أو** هو الذي يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، **مما** يتطلب التأكيد أو المبالغة أو الاعتدال.[2]

ج- سياق الموقف: (Situational context): اهتم علماؤنا العرب بسياق الموقف، واصطلحوا عليه بالمقام، حيث اشتهر خاصّة عند البلاغيين بعبارة (لكل مقام مقال)؛ أي يجب مراعاة بيئة المتكلم، وما يتعلق بالكلام من حقيقة ومجاز، دون إهمال الظروف الاجتماعية المصاحبة للحدث الكلامي، مع مراعاة للمناسبات سواء أكانت للحزن أم للألم أم للإغراء.وقد عرّف أحمد مختار عمر سياق الموقف بأنّه:"الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة"[3].

يقول صاحب كتاب (دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث):" لقد كان ابن جني سابقا لعصره عندما تحدّث عن أهميّة السيّاق الخارجي في الكشف عن المعنى من ناحية، وعندما ذكر أنّ غياب هذا السيّاق قد يؤدي إلى نوع من الخطأ في تفسير معاني الجمل أو العبارات، وقد نبّه إلى شيء من هذا بعض كبار المستشرقين الذين اهتمّوا بقضية المعنى في العربية الفصحى. رأوا أن اللغويين العرب مثل ابن جني كانت لديهم روايات كافية، ولكن لم تتح لهم على أي حال معرفة مباشرة موثوقة العرى بالعادات والتقاليد،(أي بالسياق الخارجي)التي أحاطت بمعنى (الأبيات) أو الكلمات" [4].

[1]- المصدر نفسه: ص58 .

[2] ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط5، 1998، ص 70.

[3] - المصدر نفسه، ص71.

[4]- عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، ص 65 .

يبرز الباحث من قوله هذا قيمة السياق الخارجي، ودوره البالغ الأهمية في إماطة اللثام عن المعنى وإجلاء كنهه، وفي الوقت نفسه يحدثنا عن مدى تثمين أئمة اللغة العربية –وعلى رأسهم ابن جني– للسياق الخارجي، ودوره الفعّال في إجلاء معنى العبارات والجمل، وما الشهادة التي نقلها لنا عن بعض المستشرقين إلاّ دليل قاطع على ذلك.

أيضا يعرّف صاحب كتاب (المعنى وظلال المعنى) سياق الموقف بأنّه:" كل ما يقوله المشاركون في عملية الكلام، وما يسلكونه كما يشكل الخلفية الثقافية بما تتضمنه من سياقات خبرات المشاركين، وقد أشار فيرث إلى أنّ كل إنسان يحمل معه ثقافته، وكثيرا من واقعه الاجتماعي حيثما حل"[1]، ومنه فسياق الموقف هو العملية الكلامية، والأطراف المشاركة فيها، والسلوكات المصاحبة لها كالإيماءات والإيحاءات، زد على ذلك –كما أضاف فيرث– الظروف الاجتماعية والثقافية للمشاركين في العملية التخاطبية .

ولسياق الموقف ثلاثة عناصر، هي:

1. شخصية المتكلم والسامع، ومن يشهد الكلام، ودور المشاهد في المراقبة والمشاركة.
2. العوامل والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المختلفة المصاحبة للحدث الكلامي.
3. أثر الحدث اللغوي في المتخاطبين كالإقناع أو التعبير عن الفرح أو الشعور بالألم والحزن أو الإغراء[2].

د– السياق الثقافي: (Cultural context) أو "(Context Of Culture) أي سياق الثقافة، وهو ذلك السياق الذي تنضوي تحته السياقات الأخرى لغوية أو غير لغوية"[3]، وهو " المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة"[4].

[1]– محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت لبنان، ط2 ، 2007م، ص120 .

[2]– علي حميد خضير، دلالة السياق في النص القرآني، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في اللغة العربية وآدابها،إشراف:عبد الإله الصائغ، الأكاديمية العربية في الدانمارك،كوبنهاجن ،الدانمارك،ص45 .

[3]– ردة الله بن ردة، دلالة السياق، مكتبة الملك فهد الوطنية،مكة المكرمة ،المملكة العربية السعودية ، ط1، 1423هـ، ص53 .

[4] – ينظر: علي حميد خضير ،المصدر السابق: ص47.

يمكننا القول مما سبق إن السياق الثقافي يشمل السياق اللغوي، وغيره من السياقات التي تمثل بدورها مجال التخاطب، وما يصاحب المتخاطبين من عاداتهما وتقاليدهما، وما ينتج عنهما من مساقات .

الفصل الأول

السياق القرآني

وأركانه في آيات السجن وما قبله

أولا:السياق القرآني وأنواعه

ثانيا: التعريف بسورة يوسف ومقاصدها

ثالثا: أنواع السياق القرآني في سورة يوسف وسبب نزولها والعلاقة بينهما

رابعا:تحليل السياق وأركانه في سورة يوسف

أولا– السّياق القرآني وأنواعه:

1– تعريف السياق القرآني: يعرّفه صاحب كتاب (نظرية السياق القرآني) بأنّه: "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال"[1]، ويعرّفه محمد أبو زيد بأنّه: "هو المعنى الذي يسلك جميع النص القرآني، بما لا يتناقض مع ما ثبت تعلّقه به من قرائن وأحوال معتبرة"[2]؛ أي ذلك التتابع المستمر دون انقطاع، والتسلسل المنتظم لألفاظ القرآن الكريم في سياق بياني لمعانيها الشريفة؛ لتبلغ أسمى غايتها الموضوعية في أكمل معناها المقصود.

2– أنواع السياق القرآني: عدّد علماؤنا الأفاضل أنواعًا متعددة للسياق القرآني من حيث العموم والخصوص، فسياق السورة يشكل وحدتها العضوية متكاملة متتامة، وسياق المقطع يعتبر أحد المحاور الرئيسة للسّورة، أمّا سياق الآية فيرتبط ارتباطا وثيقا بسياق المقطع، ويعتبر إحدى لبنات بنائه، وتتّحد مباني الآية حول مقطعها، والمقطع بدوره يشكل العضو الأساسي في جسم السورة ؛ لأنّ جميع المقاطع تسبح في فلك السّورة الواحدة، الذي يمثل موضوعها الذي سيقت المعاني والموضوعات لأجله؛ إلاّ أنّ كلّ هذه الأنواع تتضافر فيما بينها لترتبط ارتباطا وثيقا بالسياق العام للقرآن الكريم[3].عرّف بعض الدّارسين السياق القرآني بأنّه:" يختلف عن غيره من السياقات، فالآية القرآنية تنشئ دلالة سياقية، وإذا ضمت إلى مجموعة من الآيات تخرج بدلالة أو دلالات سياقية أخرى، ومجموع السّورة ينشئ دلالات سياقية أخرى، وبالنظر إلى مجموع القرآن كوحدة موضوعية واحدة وطريقته وأغراضه ومقاصده نخرج بدلالات سياقية مغايرة، وهذا مظهر

1–المثنى عبد الفتاح محمود،نظرية السياق القرآني:دراسة تأصيلية دلالية نقدية،دار وائل للنشر،عمان الأردن،ط1،2008م،ص15.

2–محمد أبو زيد،الترجيح بين دلالة السياق وأسباب النزول،مجلة جامعة دمشق،المجلد28،العدد3+4،2012،دمشق ، سورية،ص15.

3ينظر: المثنى عبد الفتاح محمود، المصدر السابق،ص77.

من مظاهر الإعجاز البياني للقرآن الكريم والذي لا يوجد بغيره"[1]، ومنه فأنواع السياق القرآني كالآتي:

أ- سياق القرآن: "ويقصد به مراد الله تعالى من كتابه القرآن العظيم، وهو معرفة الخلق ربهم، وعبادتهم إياه، ويخدم هذا الهدف ما سمي في كتب الأصول بمقاصد الدين والضروريات"[2]؛ أي سبب نزول القرآن الكريم، الذي يتمثل في إرشاد العباد، لمعرفة ربهم، وعبادتهم إياه حق العبادة؛ فشرّع لهم الشرائع، وأنزل لهم الأحكام والعقائد، وبيّن لهم طريق الرّشاد ومن المقاصد الأصلية التي جاء بها القرآن:

- "[3]إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح، وهذه أعظم سبب لإصلاح الخلق.
- تهذيب الأخلاق.
- التشريع وهو الأحكام خاصة وعامة .
- سياسة الأمة وهو باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها.
- القصص وأخبار الأمم للتأسي بصالح أحوالهم .
- التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها.
- المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وهذا يجمع آيات الوعد والوعيد، وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين، وهذا باب الترغيب والترهيب.

1- عبد الرحمن عبد اللّه سرور جرمان المطيري،السياق القرآني وأثره في التفسير،رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن ،إشراف د خالد بن عبد اللّه القرشي،جامعة أم القرى،مكة المكرمة ،المملكة العربية السعودية،1429هـ2008م،ص104.

2-محمد أبو زيد،الترجيح بين دلالة السياق وأسباب النزول ،ص17.

3-ينظر:محمد الطاهر ابن عاشور ،ج1،ص40،41.

– الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول صلّى اللّه عليه وسلّم"

إذا فالقرآن الكريم جاء بهذه المقاصد الأصلية كمنهج حياة للمكلّفين؛ لأجل سعادتهم في الدارين، فطوبى لمن كان لها أوعى، ولها يسعى، ولأجلها يحيا.

ب – سياق السورة: قال(البقاعي)(ت885هـ):" الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآنّ هو أنّك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر مايحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات (وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات) في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرارا لكلام إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن"[1]، إذا فكل سورة في القرآن الكريم تمثل وحدة متكاملة متناسقة، يجمعها سياق واحد، هو الغرض من السورة الكريمة، والذي يرتبط بدوره برباط وثيق بالسياق العام للقرآن الكريم.

ج– سياق المقطع أو النص:السّورة القرآنية هي مجموعة المقاطع أو النّصوص من الآيات مترابطة المباني متحدة المعاني متناسبة ومتناسقة المقاصد لتتلاحم فيما بينها مشكّلة الغرض أو الأغراض الخاصّة لعموم السّورة والتي تسمّى بـ (وحدة السّورة) أو (مقاصدها) [2]،أو هو"جزء من السورة له سياقه الخاص،ويتناسب وسياق السورة الكريمة."[3] يقول صاحب كتاب(النّبأ العظيم):" لماذا نقول:إنّ هذه المعاني تنتسق في السّورة كما تنتسق الحجرات في البنيان؟ لا، بل إنها لتلتحم

1–إبراهيم بن عمر(البقاعي)،نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،دار الكتاب الإسلامي،القاهرة مصر،ص18.

2–عبد الرحمن عبد اللّه سرور جرمان المطيري،السياق القرآني وأثره في التفسير ،رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن،إشراف د خالد بن عبد اللّه القرشي،جامعة أم القرى،مكة المكرمة ،المملكة العربية السعودية،1429هـ2008م،ص107.

3–المصدرنفسه:ينظر،ص:107.

فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظمان عند المفصل، ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب، كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب، ومن وراء ذلك كلّه يسري في جملة السّورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضا خاصا، كما يأخذ الجسم قواما واحدا، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية"[1]، بحقّ إنّه لأبلغ تعبير وأدقّ وصف لما يمثله المقطع أو النّص لجسم السّورة وسياقها خاصّة، وللتركيب القرآني وسياقه بصفة عامة.

د- سياق الآية: من المعلوم أنّ المعجم يكسب المفردة معان عامة ومتعدّدة، ويكسوها برداء الاحتمال؛ لكن إذا نظر إليها في ضوء سياقها؛ فإنّه يتحدّد معناها ويبرز مرادها؛ وبالتالي يقطع يقين السياق ريب وشك الاحتمال؛ حيث يفرض في هذا النوع من أنواع السياق النظر في سياق الآية (سباقها ولحاقها)، دون التجاوز إلى ما يسبقها أو يلحقها من آيات، حتى نتمكّن من اقتناص المعنى المقصود لأحد المفردات من بين معانيها المتعدّدة والمحتملة[2].

3 – خصائص السياق القرآني: يتميز السياق القرآني بعدة خصائص تجعله يختلف عن أساليب البشر وسياقات خطاباتهم وهي:

- ضبط السياق القرآني لفهم المتلقي."[3]

- عدم قابلية السياق القرآني التفكيك أو التجزيء.

- مرونة وحيوية السياق القرآني".

1-محمد عبد اللّه درّاز،النبأ العظيم،نشر وتوزيع دار الثقافة،الدوحة قطر،1405هـ1985م،ص155.

2-عبد الرحمن عبد اللّه سرور جرمان المطيري،السياق القرآني وأثره في التفسير ،رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن،إشراف د خالد بن عبد اللّه القرشي،جامعة أم القرى،مكة المكرمة ،المملكة العربية السعودية،1429هـ2008م،ص10.

3-المثنى عبد الفتاح محمود،نظرية السياق القرآني،دار وائل للنشر،الجبيهة،عمان الأردن،ط1،ص53.

4- أهمية السياق القرآني:" نلمح أهمية السياق في القرآن الكريم، لكونه العلم الذي يعرف به مراد الله سبحانه وتعالى من كلامه، فكما لكل كلمة معنى، لكل سياق غرض ومقصد صيغ الكلام من أجل بلوغه وتحقيقه. وإن كان تفسير القرآن بالقرآن أصحّ تفسير لكلام الله – سبحانه وتعالى–، فإن السّياق في النص القرآني خادم لهذا النوع من التفسير والأداة التي تحققه." [1] فمن هذا القول نستشف سمو السياق القرآني، لكونه يتضمن مراد الله سبحانه وتعالى من كلامه الكريم لسائر خلقه، وبما أنّ أصح تفسير لكتاب الله عز وجل باتفاق العلماء هو تفسير القرآن بالقرآن فإن السياق القرآني هو الخادم لهذا النوع من التفسير وأداة تحقيقه.

ثانيا : التعريف بسورة يوسف ومقاصدها

1- **التعريف بسورة يوسف:** قال(الفيروزآبادي)(ت817هـ):"هذه السورة مكّية بالاتفاق، وعدد آياتها مائة وإحدى عشرة بلا خلاف (111)،وكلماتها ألف وسبعمائة وستّ وسبعون(1776)، وحروفها سبعة آلاف ومائة وستّ وستّون(7166) ومافيها آية مختلف فيها"[2]، وترتيبها في المصحف الشّريف الثاني عشر، لم يذكر لها العلماء اسما آخر غير ما ورد في المصحف الكريم، في حين أنّ هناك من السور ما تعددت أسماؤها.

قال محمد الطاهر بن عاشور :" ووجه تسميتها ظاهر؛ لأنها قصّت قصّة يوسف – عليه السّلام – كلّها، ولم تذكر قصّته في غيرها ."[3]

1-محمد أبو زيد،الترجيح بين دلالة السياق وأسباب النزول،مجلة جامعة دمشق،المجلد28،العدد3+2012،4،دمشق ، سورية،ص18.

2-مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز،تح:محمد على النجار،القاهرة، مصر،ط1416،3هـ، 1996م،ج1،ص255.

3-محمد الطاهر ابن عاشور،تفسير التحرير و التنوير،الدار التونسية للنشر،تونس،ج12،ص197.

2 – مقاصد سورة يوسف: كما لايخفى على كلّ ذي لبّ؛ أنّ القرآن الكريم حوى من العبر والأحكام والعظات والتشريعات ما تعجزعن بلوغه الأفهام، غيرأنّ بعض العلماء رحمهم اللّه جمعوا بعض العبر والعظات من قصة يوسف–على نبينا وعليه الصّلاة والسّلام– نجمل بعضها فيمايأتي:

"[1]– بيان قصة يوسف – عليه السّلام – مع إخوته ، ومالقيه في حياته، ومافي ذلك من العبر من نواحٍ مختلفة.

– تعبير الرّؤيا علم يهبه اللّه لمن يشاء من صالحي عباده.

– تحاسد القرابة بينهم.

– لطف الله بمن يصطفيه من عباده.

– العبرة بحسن العواقب، والوفاء، والأمانة، والصدق، والتوبة.

– سكنى بني اسرائيل وبنيه بأرض مصر.

– تسلية النبي صلّى اللّه عليه وسلّم لماالقيه يعقوب ويوسف –عليهما السّلام – من آلهم من الأذى، وقد لقي النبي – صلّى اللّه عليه وسلّم – من آله أشدّ مالقيه من بعداء كفار قومه، مثل عمّه أبي لهب، والنظر بن الحارث ".

"– تلاها بهذه الصورة لبيان هذه الأغراض بهذه القصة العظيمة الطويلة التي لقي فيها يوسف عليه الصّلاة والسّلام مالقي من أقرب النّاس إليه ومن غيرهم ومن الغربة وشتات الشّمل، ثمّ كانت له العاقبة فيه على أتم الوجوه لما تدرّع به من الصّبر على شديد البلاء والتفويض لأمر

1–المصدر نفسه،ج12،ص198.

اللّه جلّ وعلا ...فكان في سوق قصته عقب الإخبار بأنّ المراد بهذا القصص تثبيته صلّى اللّه عليه وسلّم، وتسلية فؤاده إشارة إلى البشارة بما وقع له صلّى اللّه عليه وسلّم يوم الفتح من ملك قيادهم وردّ عِنادهم ومنّه عليهم وإحسانه إليهم "[1].

كما عدّد محمد الطاهر ابن عاشور بعض مقاصد وأسباب نزول سورة يوسف كذلك ذكر(ابراهيم بن عمر البقاعي) بعضاً مقاصد هذه السورة الكريمة ؛فمن بين ماأورده أنّ هذه السورة تضمنت مراحل حياة يوسف الصدّيق ومالقيه من تحاسد إخوته وبغيهم عليه، وشتات شمله وتفريقه عن والده، لكنّه لما تحمّل بالصّبر والتّقوى إثر ماتعرّض له من فتن. كان له حسن العاقبة من علوّ شأنه، وتولّيه على خزائن مصر، ولمّ شمله مع والده وإخوته وعفوه عنهم. ففي رأيه أنّ من بين مقاصدها أنّهاتسلية للرّسول لما يلاقيه من أذى القريب والبعيد، وبشارة له بأنّ فرج اللّه قريب، وستزول عنه المحن والشّدائد، وتكون الغلبة للعصبة المسلمة، ويكون التّمكين لدين اللّه وشريعته السّمحاء.

ثالثا: أنواع السياق القرآني في سورة يوسف وسبب نزولها والعلاقة بينهما.

1- السياق العام للسورة:" للسّيّاق القرآني عدة أنواع من حيث العموم والخصوص ، فهناك سيّاق السورة الذي يشكّل وحدة عضوية متكاملة متتامة... والسّيّاق العام للسّورة هو الذي يكون من بداية السّورة حتى منتهاها، وهو نوعان:

الأول: سيّاق ذو مقاطع متعدّدة .

الثاني: سيّاق غير متعدّد المقاطع .

1-إبراهيم بن عمر البقاعي،نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،دار الكتاب الإسلامي،القاهرة،مصر،ص2،3.

فالنّوع الأوّل هو مايتناول عدة موضوعات تدورحول ركيزة أساسية في السّورة، وهذه الرّكيزة بمثابة القبلة؛ إذ تتوجه الموضوعات والمعاني نحوها، ويختلف النّاظرون في كتاب اللّه عزّ وجل في توصيف وتحديد موضوع هذه الركيزة أحياناً، ويتفقون أحياناً أخرى، أمّا النّوع الثّاني فإنّ توصيف وتحديد الموضوع فيه أقرب إلى الوضوح في رؤية الباحثين".[1]

ممّا سبق يمكن القول إنّ:(سورة يوسف) تنتمي إلى النوع الثّاني من السّيّاق القرآني؛ حيث نجد السّيّاق العام للسّورةغيرمتعدّد المقاطع لأنّ كل مواضيع الآيات والمقاطع لهذه السّورة الكريمة تتمحور حول قصة، وهذا مانجده في التّفسير الموضوعي للحافظ المتقن لهذه السّورة الكريمة:

1-المثنى عبد الفتاح محمود،نظرية السياق القرآني،دار وائل للنشر،عمان،الأردن،ط1،ص77،78.

آيات ومقاطع سورة يوسف	مواضيعها حسب التفسير الموضوعي للحافظ المتقن
من الآية1إلى الآية 3	من صفات القرآن ويتضمّن أحسن القصص .
من الآية 4 إلى 6	رؤيا يوسف ورأي أبيه فيها .
من الآية 7 إلى 10	يوسف وإخوته واتفاقهم على القائه في الجب .
من الآية 11 إلى 18	تنفيذ مكيدتـهم .
الآيتين 19، 20	إخراج يوسف من الجب بالدّلو وبيعه لأهل مصر .
من الآية 21 إلى 29	يوسف في مصر وتعرضه لفتنة امرأ ة العزيز وعصمته من الفاحشة .
من الآية 30 إلى 35	شيوع خبر امرأة العزيز في مصر وموقفها منه والحكم عليه بالسّجن .
من الآية 36 إلى 42	أحداث يوسف في السّجن .
من الآية 43 إلى 49	رؤيا ملك مصروتأويل يوسف لها .
من الآية 50إلى 53	الملك يطلب خروج يوسف من السّجن، ويوسف يرفض حتى تظهر براءته .
من الآية 54 إلى 57	خروجه من السّجن، وطلبه ان يكون على خزائن الأرض في مصر وحصول ذلك له
من الآية 58 إلى 62	لقاؤه مع إخوته حيث عرفهم دون أن يعرفوه وطلب أخيه منهم ورد الثّمن دون علمهم
من الآية 63 إلى 66	إخوة يوسف يقنعون أباهم أن يرسل معهم أخاهم بنيامين إلى مصر .

الآيتين 67، 68	وصيّة يعقوب لأولاده .
من الآية 69 إلى79	رجوع إخوة يوسف إليه بصحبة أخيه الّذي طلبه والمكيدة الّتي دبّرهالاستقباله لديه .
الآيات80،81، 82	معاتبة بعضهم بعضاًورجوع إخوة يوسف إلى أبيهم واعتذارهم عمّا أصيبوا به
من الآية 83 إلى 86	عدم تصديق يعقوب أبناءه وإصابته بالعمى لشدّة حزنه ثمّ التجاؤه إلى اللّه .
من الآية 87 إلى 92	يعقوب يرسل أبناءه ليبحثوا عن ولديه، وتعرّفهم على يوسف واعتذارهم منه وعفوه عنهم .
من لآية 93 إلى 98	إعطاؤهم قميصه ليشمّه أبوه فيعود بصيراًواعتذار أبنائه منه واستغفاره لهم .
الآيتين 99 ، 100	دخول إخوته وأبويه عليه وتكريمهما وتحقيق الرّؤيا بسجودهم له .
الآيـة 101	اعتراف يوسف بنعم اللّه عليه وطلبه حسن الخاتمة .
من 102إلى 104	ذكر قصة يوسف أحد الأدلة على نبوّة محمد صلّى اللّه عليه وسلّم .
من 105 إلى 110	إعراض المشركين عن الاتعاظ بآيات اللّه في السّموات والأرض والردّ عليهم .
الآيـة 111	من حكم القصص القرآني ."[1]

[1] – بهاء الدين رشيد ، التفسير الموضوعي للحافظ المتقن، برواية حفص عن عاصم، حراء للطباعة والنشر، مملكة البحرين، ط1، 1429هـ-2008م، ص من 235 إلى 248 .

فمن استقرائنا لموضوعات آيات ومقاطع سورة يوسف المرتبة حسب (التفسير الموضوعي للحافظ المتقن) نجدأنّها تتمحور حول أحداث قصة يوسف عليه السّلام بداية من رؤياه التي رآها وهو في سن السّابعة من عمره مرورًا بمافعله معه إخوته بإلقائه في غيابات الجب، ثم بيعه من طرف قافلة من الإسماعليين إلى رئيس شرطة مدينة مصر (فوطيفار)؛ حيث انتقل إلى بيئة قصر الملك، حتّى اشتدّ عوده وبلغ أشدّه، وما تعرّض له من فتنة المراودة من طرف امرأة العزيز، وحفظه من كيدها بمكوثه بضع سنين في السّجن، وتعرّفه إلى ساقي وخبّاز الملك، إلى أن أتاه فرج اللّه بتأويله لرؤيا الملك، وتمكينه على خزائن مصر، وما كان له من لمّ شمل عائلته وشكره للّه على تحقّق رؤياه بسجود أبويه وإخوته له؛ حيث كان السّجود في شريعتهم سجود شكر وتكريم لا سجود عبادة إلى أن جاء الإسلام فنسخه[1]. يقول سيّد قطب:" والسّورة كلّها لحمة واحدة عليها الطابع المكّي واضحا في موضوعهاوفي جوّها وفي ظلالهاوفي إيحاءاتها. بل إنّ عليها طابع هذه الفترة الحرجة الموحشة بصفة خاصّة.. ففي الوقت الذي كان رسول اللّه – صلّى اللّه عليه وسلّم يعاني من الوحشة والغربة والانقطاع في جاهلية قريش – منذ عام الحزن– وتعاني معه الجماعة المسلمة هذه الشّدة، كان اللّه – سبحانه –يقصّ على نبيّه الكريم قصّة أخ له كريم – يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم– عليهم صلوات اللّه وسلامه أجمعين–"[2] فتنخيلاً لما سبق يمكن القول إنّ السّيّاق العام لهذه السّورة الكريمة يرتكزُ حول أحداث ومراحل حياة هذا النّبي الكريم. تسلية وتثبيتا للرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم لما لاقاه من أذى المشركين قريبهم وبعيدهم .

2– سبب نزولها: قال (الالوسي)(ت1270هـ)إ نّ:" سبب نزولها على ماروي عن سعد بن أبي وقّاص أنّه أنزل القرآن على رسول اللّه عليه الصلاة والسّلام فتلاه على أصحابه زماناً

1–ينظر:محمد الطاهر ابن عاشور،تفسير التحرير والتنوير،الدار التونسية للنشر،تونس،1984،ج13،ص56.
2–سيد قطب،في ظلال القرآن،دار الشروق،بيروت،لبنان،ط11،م4،الأجزاء18،12،ص1950.

فقالوا: يارسول اللّه لو قصصت علينا فنزلت وقيل: هو تسلية الرّسول صلى اللّه عليه وسلّم عما يفعله به قومه بما فعلت إخوة يوسف عليه السّلام به، وقيل: إنّ اليهود سألوه صلى اللّه عليه وسلّم أن يحدثهم بأمر يعقوب وولده وشأن يوسف ومانتهى إليه فنزلت، وقيل عن السبب الذي أحلّ بني إسرائيل بمصر إن كفّار مكّة أمرتهم اليهود أن يسألوا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم فسألوه فنزلت"[1]. ففي سبب نزول هذه السورة الكريمة روايتين:

* الأولى أنها نزلت تسلية وتثبيتا من اللّه عزّ وجل للرسول صلّى اللّه عليه وسلم لما لاقاه من المشركين من ذوي القربى وغيرهم.

* والثانية أنّ اليهود سألوا رسول اللّه- صلّى اللّه عليه وسلّم- أن يخبرهم عن يعقوب وأولاده، ويوسف وماكان من شأنه.

3- علاقة السياق بأسباب النزول: من المعلوم أنّ اللّه - عزّ وجل - أنزل هديه الكريم لهداية العباد إلى طريق الرّشاد وهو السّبب العام لنزوله، غير أنّ هناك آيات نزلت لأسباب خاصّة مرتبطة بها وحدها دون غيرها، وهي تنضوي تحت السبب العام لنزول القرآن الكريم وهو الهداية، وتنقسم هذه الأسباب إلى قسمين:

القسم الأول: ما نزل من اللّه عزّ وجل - دون ارتباط بسبب خاص، وهذا الأكثر في آيات القرآن الكريم.

القسم الثاني: ما نزل من اللّه عزّ وجل مرتبطا بأسباب خاصّة، وهو الأ قل في القرآن الكريم؛ لذلك بحث فيه العلماء وصنّفت فيه التصانيف وهو ما اصطلح عليه عند العلماء بسبب

1-شهاب الدين السيد محمود(الالوسي البغدادي)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،تح:أبو عبد الرحمان فؤاد بن سراج عبد الغفار ،المكتبة التوفيقية،القاهرة،مصر،م7،ج12،ص232.

نزول الآية .[1] ونظرا لأهميّة معرفة سبب نزول الآية للوصول إلى تفسيرها والوقوف على قصدها يقول الواحدي(ت 468هـ)صاحب كتاب (أسباب نزول القرآن):"وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها "[2] أيضا يقول الشيخ مقبل بن هادي الوادعي*إنّ من بين الدوافع التي دفعته إلى تأليف كتابه(الصحيح المسند من أسباب النزول) هي:" الرّغبة في التّعرّف على أسرار هذا التّشريع العظيم وما في أسباب النزول من العبر وحلّ المشاكل التي قد ضاق بها أصحابها ذرعا ... وفي أسباب النّزول الكثير الطّيّب من بيان مراحل الدّعوة والتوجيهات الإلهية "[3]، فهذا كله يبين لنا أهمية العلاقة بين أسباب النزول وعلوم القرآن عامة وعلم التفسير خاصّة؛ الذي يرتكز على السيّاق في استنباط الأحكام والمقاصد الشرعية.

4- أنواع السياق القرآني في سورة يوسف:

بعد الحديث عن السياق العام لسورة يوسف، وما تضمّنه جوّها العام من تصوير للمراحل التي مرّ بها يوسف – عليه السّلام – وماكان له في كل مرحلة من شأن. ننتقل من خلال تحليل سياقها العام إلى أنواع السياق القرآني؛ كسياق المقطع أوسياق النص وسياق الآية؛ وللوقوف على

1-ينظر:عبد الرحمن عبد اللّه سرور جرمان المطيري،السياق القرآني وأثره في التفسير ،رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن،إشراف:د خالد بن عبد اللّه القرشي،جامعة أم القرى،مكة المكرمة ،المملكة العربية السعودية،1429هـ2008م،ص252.

2-على بن أحمد الواحدي،أسباب نزول القرآن،تح:كمال بسيوني زغلول،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط141،1هـ،1991م،ص10.

*-هو الشيخ العلامة الفقيه المحدث مقبل بن هادي الوادعي اليمني ،ولد باليمن عام1937م ،كان من أهل الشيعة في صعدة باليمن، وبعد إطلاعه على كتب أهل السنة وسماعه لدروس مشايخها تأثر بهم وانتقل من التشيع إلى مذهب أهل السنة، وأصبح شوكة في حلق أعداء أهل السنة، أسّس مدرسة دار الحديث بدماج باليمن وتخرج على يديه عدة مشائخ وعلماء ،من مؤلفاته:-الصحيح المسند مما ماليس في الصحيحين،-المسند من دلائل النبوة،-الإلحاد الخميني في أرض الحرمين،توفيعام21يوليو2001م.

3-مقبل بن هادي الوادعي،الصّحيح المسند من أسباب النّزول،مكتبة صنعاء الأثرية،صنعاء،اليمن،ط1425،2هـ،2004م،ص13.

ذلك نستعين ب (التفسير الموضوعي للحافظ المتقن) في تقسيم آيات السّورة حسب المواضيع التي تناولتها مع تحديد آيات كل موضوع كالآتي:

من الآيـة 1إلى الآيـة 3: [1]" من صفات القرآن ويتضمّن أحسن القصص.

من الآيـة 4 إلى الآيـة 6: رؤيا يوسف ورأي أبيه فيها.

من الآيـة 7 إلى الآيـة 10: يوسف وإخوته واتفاقهم على القائه في الجب.

من الآية 11 إلى الآية 18: تنفيذ مكيدتـهم.

من 19 الآية إلى الآية 20: إخراج يوسف من الجب بالدّلو وبيعه لأهل مصر.

من الآية 21 إلى الآية 29: يوسف في مصر وتعرضه لفتنة امرأ ة العزيز وعصمته من الفاحشة.

من 30 الآية إلى الآية 35: شيوع خبر امرأة العزيز في مصر وموقفها منه والحكم عليه بالسّجن.

من الآية 36 إلى الآية 42: أحداث يوسف في السّجن.

من الآية 43 إلى الآية 49: رؤيا ملك مصروتأويل يوسف لها.

من الآية 50 إلى الآية 53: الملك يطلب خروج يوسف من السّجن، ويوسف يرفض حتى تظهر براءته.

1-بهاء الدين رشيد،التفسير الموضوعي للحافظ المتقن،حراء للطباعة والنشر،مملكة البحرين،ط1429،1هـ-2008م،صمن235إلى248.

من الآية 54 إلى الآية 57: خروجه من السّجن، وطلبه ان يكون على خزائن الأرض في مصر وحصول ذلك له.

من الآية 58 إلى الآية 62: لقاؤه مع إخوته حيث عرفهم دون أن يعرفوه وطلب أخيه منهم ورد الثّمن دون علمهم.

من الآية 63 إلى الآية 66:إخوة يوسف يقنعون أباهم أن يرسل معهم أخاهم بنيامين إلى مصر.

من الآية 67 إلى الآية 68: وصيّة يعقوب لأولاده.

من الآية 69 إلى الآية 79: رجوع إخوة يوسف إليه بصحبة أخيه الّذي طلبه والمكيدة الّتي دبّرها لاستقباله لديه.

من الآية 80 إلى الآية 82: معاتبة بعضهم بعضاًورجوع إخوة يوسف إلى أبيهم واعتذارهم عمّا أصيبوا به.

من الآية 83 إلى الآية 86: عدم تصديق يعقوب أبناءه وإصابته بالعمى لشدّة حزنه ثمّ التجاؤه إلى اللّه.

من الآية 87 إلى الآية 92: يعقوب يرسل أبناءه ليبحثوا عن ولديه، وتعرّفهم على يوسف واعتذارهم منه وعفوه عنهم.

من الآية 93 إلى الآية 98: إعطاؤهم قميصه ليشمّه أبوه فيعود بصيراًواعتذار أبنائه منه واستغفاره لهم.

من الآية 99 إلى الآية 100: دخول إخوته وأبويه عليه وتكريمهما وتحقيق الرّؤيا بسجودهم له.

الآية 101: اعتراف يوسف بنعم اللّه عليه وطلبه حسن الخاتمة.

من الآية 102 إلى الآية 104: ذكر قصة يوسف أحد الأدلة على نبوّة محمد صلّى اللّه عليه وسلّم.

من الآية 105 إلى الآية 110: إعراض المشركين عن الاتعاظ بآيات اللّه في السّموات والأرض والردّ عليهم.

الآية 111: من حكم القصص القرآني."

بما أنّ السياق العام للسورة القرآنية ينقسم إلى: سياق المقطع الذي يمثّل مجموعة من الآيات المترابطة المباني المتّحدة المعاني المتناسبة والمتناسقة المقاصد؛ لتتلاحم فيما بينها مشكّلة الغرض العام للسورة، وسياق الآية الذي يمثل بدوره عملية اقتناص المعنى المقصود للمفردة من بين تعدّد معانيها المعجمية المحتملة، من خلال النّظر لسباقها ولحاقها داخل الآية.[1]

يمكن القول إنّ أنواع السياق المتضمّنة داخل السياق العام لسورة يوسف أغلبها تمثل سياق المقطع إلاّ أنّ السياق في الآيتين: (101 و111) فيمثّل في كل منها سياق الآية.

رابعا:تحليل السياق وأركانه في سورة يوسف

1: من صفات القرآن الكريم ويتضمّن أحسن القصص

[1]-ينظر:عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري،السياق القرآني وأثره في التفسير ،رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن،إشراف د خالد بن عبد الله القرشي،جامعة أم القرى،مكة المكرمة ،المملكة العربية السعودية،1429هـ2008م،ص107.

قال تعالى: ﴿الٓر ۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾

إنّ السيّاق في هذه الآيات الثلاث الأولى من سورة يوسف يمثّل سياق المقطع،ومن خلاله يمكن القول إنّ الله تعالى يخبر نبيّه الكريم –صلّى الله عليه وسلّم–؛ بأنّ القرآن أنزل بالعربية لأنّها اللغة التي يستطيع بواسطتها المتكلم التعبير عمّا يختلج في خاطره، وإكرامًا له النبي العربي المبعوث خاتما للرسل ،ومن خلال سياق هذا النص أيضا يهيّئ الله سبحانه وتعالى نبيه صلّى الله عليه وسلّم ليقصّ عليه أحسن القصص –أي القصص القرآني–عامة وقصّة يوسف خاصّة؛لأنّ اليهود لما سألوه بأن يخبرهم عن يعقوب و سبب انتقال عائلته من بلاد كنعان إلى مصر. أنزلت عليه كمعجزة لردّ كيد اليهود في تعجيزهم له صلّى الله عليه وسلّم، ويسمّيها سيد قطب بالدّرس قائلا: "هذا الدّرس هو المقدّمة، ثمّ الحلقة الأولى من القصّة، وتتّألف من ستة مشاهد، وتبدأ من رؤيا يوسف إلى نهاية مؤامرة إخوته عليه، ووصوله إلى مصر"[1]، إذا فمن سياق هذه الآيات الثلاث الأولى نستنتج أنّها تمثل مقدّمة لبدء القصة، ففيها يخاطب اللّه عزّ وجل الرّسول بأنّه أنزل هذا القرآن باللّسان العربي الذي حوى من الآيات مافيه لذوي الألباب معتبر، ولذوي المساوئ مزدجر، وبأنّ قصص القرآن هي أحسن القصص في انسجام أسلوبها، وقوّة حججها، وبيان حكمها، ونبراس تشريعاتها وأحكامها، وأنّ هذا الكتاب – أي القرآن الكريم – من أوصافه أنّه (مبين). قال

[1]– سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت لبنان، م4، الأجزاء :12 –18، ط 11، 1405هـ، 1985م، ص 1970 .

محمد الطاهرا بن عاشور*:" ووصف الكتاب هنا ب (المبين) ووصف به في طالعة سورة يونس ب (الحكيم) لأنّ ذكر وصف إبانته هنا أنسب، إذ كانت القصّة التي تضمّنتها هذه السّورة مفصّلة مبيّنة لأهمّ ماجرى في مدّة يوسف – عليه السّلام – بمصر، فقصّة يوسف – عليه السّلام – لم تكن معروفة للعرب قبل نزول القرآن إجمالا ولا تفصيلا، بخلاف قصص الأنبياء: هود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب – عليهم السّلام أجمعين– إذ كانت معروفة لديهم إجمالا، فلذلك كان القرآن مبيّنا إيّاها ونزولها قبل اختلاط النبي – صلّى اللّه عليه وسلّم – باليهود في المدينة معجزة عظيمة من إعلام اللّه تعالى إيّاه بعلوم الأوّلين ".[1] فسياقها يشير إلى نزولها في مكة المكرمة، يقول صاحب كتاب في ظلال القرآن: " وعلى هذا فالسّورة واحدة من السّور التي نزلت في تلك الفترة الحرجة في تاريخ الدعوة وفي حياة الرّسول – صلّى اللّه عليه وسلّم – والعصبة المسلمة معه في مكة"[2]، إذا نزلت هذه السورة الكريمة والرسول صلّى اللّه عليه وسلّم والصحابة رضوان اللّه عليهم كانوا يتلقون شتّى أنواع الأذى من المشركين ،وفي هذه المدّة بالذّات فقد سنده الذي ظلّ يدافع ويحامي عنه –عمّه أبو طالب – وزوجه التي آوته وصدّقته ونصرته – أم المؤمنين خديجة بنت خويلد – فكان الرّسول وجمع الصحابة يمرّون بظروف جدّ صعبة على جميع الأصعدة؛ لذلك يشير سياقها أنّ اللّه سبحانه وتعالى أنزل هذه السورة الكريمة تثبيتا وتسلية له وللجماعة المسلمة من ورائه، وعليه تكون أركان السياق في هذا المقطع القرآني كالآتي :

*– العلامة محمد الطاهر ابن عاشور ينحدر من أسرة أندلسية فرت إلى المغرب الأقصى من الأندلس ثم إلى تونس، التحق بجامع الزيتونة وعمره 14 عاما، تفوق في دراسته الدينية واللغوية والأدبية إلى أن صار أستاذا فيه وشيخا من أعلام شيوخه، وفي عام 1945 عين شيخا للجامع الأعظمالزيتونة من تلامذته: الشيخ عبد الحميد بن باديس، ومن مؤلفاته:– تفسير التحرير والتنوير ،– أصول التقدّم في الإسلام ،–مقاصد الشريعة الإسلامية،– الأمالي على دلائل الإعجاز للجرجاني، كان علما بارزا من أعلام الفكر العربي الإسلامي، توفي رحمه اللّه يوم الأحد 1973/08/12م عن عمر يقارب 97 سنة.

[1] – محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج12، ص 200، 201 .

[2] – المصدر السابق، ص 1949.

المخاطِـــب: اللّه عزّ وجل.

المخاطَـــب: الرسول صلّى اللّه عليه وسلّم.

موضوع الخطاب: إخبار الرسول صلّى اللّه عليه وسلّم ببعض صفات القرآن، وينبّهه ليقصّ عليه أحسن القصص.

القصـــــد: تسلية وتثبيتا للرسول صلّى اللّه عليه وسلّم لما لاقاه من أذى المشركين.

2- رؤيا يوسف ورأي أبيه فيها

يقول سيد قطب: " ثمّ يرفع السّتار عن المشهد الأوّل في الحلقة الأولى، لنرى يوسف الصبي يقصّ رؤياه على أبيه "[1]

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦ ﴾

يتجلّى السياق في هذا النص القرآني بأنّ اللّه تعالى أخبر نبيّه الكريم إنّ يوسف رأى رؤيا وقصّها على والده،إنّها شدت انتباهه و لفتت ذهنه كيف لا وهو الغلام الذي لم يتجاوز العشر

1- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت لبنان، م4، الأجزاء :12 -18، ط 11، 1405هـ، 1985م، ص 1970 .

سنوات[1] يرى الكواكب ساجدة له،فعلم والده الذي أوتي الحكمة والنبوءة تأويلها وتأكد أن سيكون ليوسف شأن عظيم؛ لذلك حذّره من أن يقصّها على إخوته لأنهم قد يعرفوا أن سيكون له شأن من دونهم، وهذا ممّا يوقد جذوة الحسد في قلوبهم فيزدادوا بغضا له، ويؤدي بهم للبغي عليه وهو صغير لا يستطيع أن يرد أي مكروه يسلّط عليه فهي إذا: " رؤيا يوسف ورأي أباه فيها "[2]، حيث رأى يوسف – عليه السّلام – رؤيا فقصّها على أبيه يعقوب؛ ليأخذ رأيه فيها، وكان عمر يوسف – عليه السّلام – آنذاك لايتجاوز عشر سنوات .[3]

يقول صاحب (تفسير التّحرير والتّنوير): " وابتداء قصة يوسف – عليه السّلام – بذكر رؤياه إشارة إلى أنّ اللّه هيّأ نفسه للنّبوّة فابتدأه بالرّؤيا الصّادقة كما جاء في حديث عائشة :" أنّ أوّل ما ابتدئ رسول اللّه – صلّى اللّه عليه وسلّم – من الوحي الرّؤيا الصّادقة فكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصّبح "وفي ذلك تمهيد للمقصود من القصّة وهو تقرير فضل يوسف – عليه السّلام – من طهارة وزكاء نفس وصبر. فذكر هذه الرّؤيا في صدر القصّة كالمقدّمة والتمهيد للقصّة المقصودة.

وجعل اللّه تلك الرّؤيا تنبيها ليوسف – عليه السّلام – بعلوّ شأنه ليتذكّرها كلّما حلّت به ضائقة فتطمئنّ بها نفسه أنّ عاقبته طيّبة، وإنما أخبر يوسف – عليه السّلام – أباه بهذه الرّؤيا لأنّه

1– عبد الله بن على بصفر، عبر ودلالات من سورة يوسف ، دار نور المكتبات، جدة ، السعودية، ط1 ، 1426هـ ، 2005م ، ص10 .

[2] – بهاء الدين رشيد، التفسير الموضوعي للحافظ المتقن مع أسباب النزول وشرح المفردات، دار حراء للنشر والطباعة، دمشق، سورية، ط1، 1429هـ، 2008م، ص35 .

[3] – عبد الله بن على بصفر، عبر ودلالات من سورة يوسف، دار نور المكتبات، جدة، السعودية، ط1، 1426هـ، 2005م، ص10 .

علم بإلهام أو تعليم سابق من أبيه أنّ للرّؤيا تعبيرا، وعلم أنّ الكواكب والشّمس والقمر كناية عن موجودات شريفة، وانّ سجود المخلوقات الشّريفة له كناية عن عظمة شأنه ".[1]

ففي سياق هذا المقطع القرآني يخاطب الله تعالى الرسول بأنّ يوسف لما قصّ على والده رؤياه، أجابه محذّرا إيّاه بعدم قصّها على إخوته خوفاً عليه من أن يدبّروا له مكيدة حسدًا من عند أنفسهم ؛ " أي فيحتالوا لإهلاكك حيلة عظيمة لاتقدر على التّقصّي عنها، أو خفية لا تتصدّى لمدافعتها، وإنما قال له ذلك لما أنّه عليه السّلام عرف من رؤياه أن سيبلّغه اللّه تعالى مبلغا جليلا من الحكمة، ويصطفيه للنبوّة وينعم عليه بشرف الدّارين فخاف عليه حسد الإخوة وبغيهم فقال له ذلك صيانة لهم من الوقوع فيما لاينبغي في حقّه وله من معاناة المشاق، ومقاساة الأحزان وإن كان واثقا بأنهم لا يقدرون على تحويل ما دلت عليه الرّؤيا ".[2] " هذا ولما نبّهه عليه السّلام على أن لرؤياه شأنا عظيما وحذّره ممّا حذّره شرع في تعبيرها وتأويلها على وجه إجمالي فقال:

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ "أي يصطفيك ويختارك للنبوّة كما روي عن الحسن أو للسجود لك كما روي عن مقاتل، أو لأمور عظام كما قال الزّمخشري "[3].

وقد أشار إلى ذلك صاحب (تفسير التحرير والتنوير) بقوله: " وقد علم يعقوب – عليه السّلام – ذلك بتعبير الرّؤيا ودلالتها على رفعة شأن في ا لمستقبل فتلك إذا ضمّت إلى ما هو عليه من الفضائل آلت إلى اجتباء اللّه إيّاه، وذلك يؤذن بنبوءته، وإنما علم يعقوب – عليه السّلام

[1] – محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج12، ص 208 ،209 .

[2] – شهاب الدين السيد محمود الالوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح:أبو عبد الرحمان فؤاد بن سراج عبد الغفار، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، م7، ج12، ص 248 .

[3] – المصدر نفسه: ص 253.

– أنّ رفعة يوسف – عليه السّلام – في مستقبله رفعة إلهية لأنّه علم أنّ نعم اللّه تعالى متناسبة فلما كان ما ابتدأه به من النّعم اجتباء وكمالا نفسيا تعيّن أن يكون ما يلحق بها من نوعها.

ثمّ إنّ ذلك الارتقاء النّفساني الذي هو من الواردات الإلهية غايته أن يبلغ بصاحبه إلى النّبوءة أو الحكمة فلذلك علم يعقوب – عليه السّلام – أنّ اللّه سيعلّم يوسف – عليه السّلام – من تأويل الأحاديث"[1]

إذا فسياق هذا المقطع القرآني يشير إلى أنّ الرّؤيا التي رآها يوسف هي من باب الاصطفاء الربّاني والاجتباء الإلهي لإعداده لما هو أعظم ألا وهي الحكمة والنّبوءة،ويشير أيضا للخطاب الذي دار بين يوسف ووالده يعقوب عندما رأى يوسف الرّؤيا وقصّها على والده،وعليه تكون أركان السياق في هذا المقطع القرآني كالآتي:

المخاطِـــب: يوسف.

المخاطَـــب: والده يعقوب.

موضوع الخطاب: قصّ رؤياه على والده .

القصـــــد: ليطلعه على تأويلها .

ويواصل السياق في تصوير الحوار بين يوسف ووالده إذ أنّ والده لما سمع من يوسف رؤياه التي رآها فهم أنّه سيكون له شأن عظيم. فخاف أن ينزغ الشيطان بينه وبين إخوته، أو تذوي نار الحسد قلوبهم منه فيكيدوا له كيدا لاطاقة له على ردّه. كيف لا وهو لازال غلاما لم يبلغ الحلم بعد، فحذّره بعدم قصّها على إخوته، وعليه تكون أركان السياق في هذا النّص القرآني كالآتي :

[1] – محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج12، ص 216.

المخاطِـــب: يعقوب.

المخاطَـــب: يوسف.

موضوع الخطاب: تحذيره من عدم قصّها على إخوته .

القصـــــد: علم أنّه سيكون له شأن عظيم فخاف عليه من حسد إخوته .

3- يوسف وإخوته واتفاقهم على إلقائه في الجب

يقول سيد قطب: " ويسدل السياق السّتار على مشهد يوسف ويعقوب هنا ليرفعه على مشهد آخر: مشهد إخوة يوسف يتآمرون عليه، مع حركة تنبيه لأهمية ما سيكون."[1] **قال تعالى**:

﴿ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ٧ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ١٠ ﴾

يقول صاحب تفسير في ظلال القرآن: " لقد كان في قصّة يوسف وإخوته آيات وآمارات على حقائق كثيرة لمن ينقب عن الآيات ويسأل ويهتم. وهذا الافتتاح كفيل يتحريك الانتباه والاهتمام. لذلك نشبهه بحركة رفع السّتار عمّا يدور وراءه من أحداث وحركات، فنحن نرى وراءه مباشرة مشهد إخوة يوسف يدبّرون ليوسف مايدبّرون "[2].

---

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت لبنان، م4، الأجزاء :12 -18، ط 11، 1405هـ، 1985م، ص 1972 .

[2]- سيد قطب ،في ظلال القرآن،م4،ج12-18،ص 1973 .

ويرى (ابن جرير الطبري)*(ت310هـ) بأنّه: " يعني السّائلين عن أخبارهم وقصصهم، وإنما أراد جلّ ثناؤه بذلك نبيّه محمد صلّى اللّه عليه وسلّم، وذلك أنّه يقال: إنّ اللّه تبارك اللّه وتعالى إنّما أنزل هذه السّورة على نبيه يعلّمه فيها مالقي يوسف من إخوته وإذايته من الحسد، مع تكرمة اللّه إيّاه، تسلية له بذلك مما يلقى من إذايته وأقاربه من مشركي قريش. " [1]

فالسياق في هذا المقطع القرآني يصوّر لنا الحوار الذي دار بين إخوة يوسف فيما بينهم. من أجل إيجاد حيلة تبعده عن وجه أبيهم غلاّ وحسدا من عند أنفسهم، وذلك لما رأوه من فرط محبة أبيهم له. يقول سيد قطب: " وتضخم في أعينهم حكاية إيثار أبيهم له بالحب حتّى توازي القتل .أكبر جرائم الأرض قاطبة بعد الشّرك باللّه "[2]." قال قتادة، ومحمد بن إسحاق: كان أكبرهم وكان اسمه (روبيل) وقال السدي الذي قال ذلك يهوذا، وقال مجاهد:شمعون" [3]منعهم من قتله وأشار عليهم بتغييبه في غيابات الجبّ وهذا ماأشار إليه (الألوسي)(ت1270هـ)في تفسيره بقوله: " وزعم بعضهم أنّ القائل رجل غيرهم شاوروه في ذلك وهو خلاف الظاهر ولا ثبت له، والظاهر أنّ القائل خيّرهم بين الأمرين القتل والطرح...وحاصل المعنى اقتلوه أو غرّبوه فإنّ التّغريب كالقتل في حصول المقصود مع السّلام من إثمه " [4] ثمّ يستطرد " الألوسي " حديثه عن المقصود

*-أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري،صاحب التفسير الكبيرجامع البيان عن تأويل آي القرآن والتاريخ الشهير،كان إماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك، وله مصنفات مليحة ندل على سعة علمه وغزارة فضله،ولد224هـ بآمل طبرستان، وتوفي في 26 شوال سنة 310هـ ببغداد.(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح:محمد محي الدين عبد الحميد،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، مصر ،ط1 ،م3،ص463،م3،ص232.

[1] – محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1421،1هـ، 2001م، بيروت، لبنان،م 7، ج 11، ص 179 .

[2]– سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت لبنان، م4، الأجزاء :12 –18، ط 11، 1405هـ، 1985م، ص1973.

[3]–إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1420هـ، 2000م، ص977 .

[4]– شهاب الدين السيد محمود الالوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح:أبو عبد الرحمان فؤاد بن سراج عبد الغفار، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، م7،ج12، ص 262 .

في إخلاء وجه يعقوب لأبنائه قائلا :" أي يقبل عليكم إقبالة واحدة لا يلتفت عنكم إلى غيركم، والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم إيّاها "[1]، في سياق هذا النّص القرآني يخبر اللّه تعالى نبيّه الكريم عمّا بلغ من إخوة يوسف من الحسد والغيرةحتّى أرادوا قتله . إلاّ أنّ الرعاية الإلهية ترعاه في كنفها ، حيث تدخل كبيرهم ومنعهم من قتله ، وأشار عليهم بتغييبه في غيابات الجب ، لتلتقطه إحدى القوافل ومن ثمّ يزيد بعدا على بعد من وجه أبيهم ، وبالتالي يتحقّق مرادهم من إخلاء وجه أبيهم لهم، وعليه تكون أ ركان السياق في هذا النص القرآني كالآتي:

المخاطِـــب: كبير إخوة يوسف .

المخاطَـــب: باقي إخوة يوسف.

موضوع الخطاب: منعهم من قتل يوسف وأشار عليهم بتغييبه في غيابت الجب لتلتقطه إحدى القوافل.

القصـــــد: ليقبل عليهم وجه أبيهم إقبالة واحدة وكليّة .

الآن وقد عزموا على كيدهم بيوسف فما عليهم إلاّ إقناع والدهم لاصطحابه معهم إلى المراعي :

4 – تنفـــيذ مكيدتـــهم

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ

[1]– المصدر نفسه، ص 262.

وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فهاهم عند أبيهم، يراودونه في اصطحاب يوسف معهم منذ الغداة. وهاهم أولاء يخادعون أباهم، ويمكرون به وبيوسف".[1] فردّ عليهم ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ﴾ " أي: يشق علي مفارقته مدّة ذهابكم به إلى أن يرجع، وذلك لفرط محبّته له، لما يتوسّم فيه من الخير العظيم...".[2] قال تعالى على لسان يعقوب ﴿ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ " وأخشى أن تشتغلوا عنه برميكم ورعيكم، فيأتيه ذئب ،فيأكله، وأنتم لاتشعرون، فأخذوا من فمه هذه الكلمة، وجعلوها عذرهم فيما فعلوه، وقالوا مجيبين عنها في السّاعة الرّاهنة﴿ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ يقولون لئن عدا عليه الذئب فأكله من بيننا، ونحن جماعة، إنا إذا لهالكون عاجزون"[3] في سياق هذا النص القرآني يخبر اللّه تعالى نبيّه الكريم-صلّى الله عليه وسلّم -أنّ إخوة يوسف راودوا أباهم بكل حنان وشفقة ومحبة لأخيهم يوسف قصد اصطحابه ليرتع ويلعب معهم في المرعى، لكنهم كانوا يضمرون عكس ذاك ؛ فلذلك أصرّوا على اصطحابه وبذلوا قصارى جهدهم في مخادعة أبيهم حتى يفتكّوا منه موافقته، وما أن وافقهم على مطلبهم اتخذوا من عذره - خوفا من أن يأكله الذّئب - حجة

[1] - سيد قطب ،في ظلال القرآن،م4،ج12-18، ص1974 .

[2] - إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1420هـ، 2000م، ص977 .

[3] - المصدر نفسه، ص977 .

ليواجهوه بها عند عودتهم بعد تنفيذ مكيدتهم، وعليه تكون أركان السياق في هذا النص القرآني كالآتي:

1- المخاطِـــب: إخوة يوسف.

المخاطَـــب: والدهم يعقوب.

موضوع الخطاب: مراودة إخوة يوسف أباهم ليصطحبوا معهم يوسف إلى المرعى.

القصـــــد: لتنفيذ مكيدتهم.

2-**المخاطِـــب:** يعقوب عليه السّلام.

المخاطَـــب: إخوة يوسف.

موضوع الخطاب :تردّده في موافقته على طلبهم ثمّ وافقهم .

القصـــــد: حزنه على مفارقة يوسف وخوفه عليه من بغي إخوته عند اصطحابهم إيّاه إلى المرعى.

" والآن وقد ذهبوا به، وهاهم أولاء ينفّذون المؤامرة النّكراء.واللّه سبحانه يلقي في روع الغلام أنّها محنة وتنتهي، وأنّه سيعيش وسيذكّر إخوته بموقفهم هذا منه وهم لا يشعرون أنّه هو "[1].

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥ ﴾ " يقول تعالى ذاكرا لطفه ورحمته وعائدته وإنزاله اليسر في حال العسر أنّه أوحى إلى يوسف في ذلك الحال الضيّق، تطييبًا لقلبه، وتثبيتًا له:

[1]- سيد قطب ،في ظلال القرآن،م4،ج12-18، ص1975 .

إنّك لا تحزن مما أنت فيه، فإنّ لك من ذلك فرجًا ومخرجًا حسنًا، وسينصرك اللّه عليهم، ويعليك ويرفع درجتك، وستخبرهم بما فعلوا معك من هذا الصّنيع. وقوله ﴿ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ قال مجاهد وقتادة: ﴿ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾بإيحاء اللّه إليه."[1] في سياق هذه الآية الكريمة يخبر اللّه تعالى نبيّه الكريم أنّ يوسف لم يكن وحده، بل العناية الإلهية تحرسه وتؤيّده وتثبّته في كل محنة. كيف لا وهو الكريم بن الكريم بن الكريم كما قال صلّى اللّه عليه وسلّم،فلذلك ألهمه الله تعالى بأنه سيفرّج كربته وعليه أن لا يخبر إخوته بفعلتهم هذه؛ لأنه سيأتي اليوم الذي يذكرهم بها،وعليه تكون أركان السياق في هذا المقطع القرآني كالآتي :

المخاطِـــب: اللّه عزّوجل.

المخاطَـــب: يوسف عليه السّلام.

موضوع الخطاب: إيحاءٌ من اللّه عزّوجل لنبيّه يوسف بأن يُفرِّجُ عليه محنته ويُعلي شأنه.

القصـــــد: تطييبًا لقلبه وتثبيتًا له.

" لقد ألهاهم الحقد الفائر عن سبك الكذبة، فلو كانوا أهدأ أعصابا ما فعلوها منذ المرة الأولى التي يأذن لهم فيها يعقوب باصطحاب يوسف معهم! ولكنهم كانوا معجلين لايصبرون، يخشون ألا تواتيهم الفرصة مرّة أخرى. كذلك كان التقاطهم لحكاية الذئب المكشوفة دليلا على التّسرّع، وقد كان أبوهم يحذّرهم منها أمس، وهم ينفونها، ويكادون يتهكّمون بها، فلم يكن من المستساغ أن يذهبوا في الصباح ليتركوا يوسف للذّئب الذي حذّرهم أبوهم منه أمس! وبمثل هذا

[1]- إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص978 .

التسرع جاءوا على قميصه بدم كذب لطّخوه به في غير إتقان، فكان ظاهر الكذب حتى ليوصف بأنّه كذب .."[1]

قال تعالى: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ ﴾

في سياق هذا المقطع القرآني من سورة يوسف يخبر اللّه تعالى نبيّه الكريم عن الخطاب الذي دار بين إخوة يوسف ووالدهم يعقوب بعدما دبّروا مكيدتهم"﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ ﴾بعد المغرب جاءوا في الظّلام حتى تكون أدوات الجريمة مختفيّة وغير واضحة، وغير ظاهرة "[2]. وقال صاحب تفسير التحرير والتنوير :" ولاشك في أنّهم لم يتركواكيفية من كيفيات تمويه الدم وحالة القميص بحال قميص من يأكله الذئب من آثار تخريق وتمزيق مما لا يخلو عنه حال افتراس الذئب، وأنهم أفطن من أن يفوتهم ذلك وهم عصبة لايعزب من مجموعهم مثل ذلك."[3]كما يتجلّى من خلال السياق في هذه الآية الكريمة أنّ إخوة يوسف دبّروا مكيدتهم ونفّذوا خديعتهم، وجاءوا بعد غروب الشمس، حتّى لاتظهر على وجوههم ملامح الكذب،ولا

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12-18،ص1975، 1976 .

[2]-عبد الله بن على بصفر، عبر ودلالات من سورة يوسف، دار نور المكتبات، جدة، السعودية، ط1، 1426هـ، 2005م، ص17 .

[3]- محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج12، ص238 .

تتضح معالم الجريمة رغم توفّر أدواتها؛ ظنّا منهم أن الظلام سيكون حليفهم في إخفاء جريمتهم. نسوا أنّ أباهم نبيّ وأنّ قلبه المكلوم دائم الاتصال بربّه،ومن كان قلبه موصولا بربّه فلا يخاف ولايشقى، وعليه تكون أركان السياق في هذا النّص القرآني كالآتي :

المخاطِـــب: إخوة يوسف.

المخاطَـــب: أباهم يعقوب عليه السّلام.

موضوع الخطاب: تنفيذ إخوة يوسف مكيدتهم والكذب على أبيهم بأنّ يوسف أكله

الذّئب.

القصـــــد: إبعاد شبهة القتل عن نفوسهم.

"وأدرك يعقوب من دلائل الحال، ومن نِداء قلبه، أنّ يوسف لم يأكله الذّئب، وأنّهم دبّروا له مكيدة ما. وأنّهم يلفّقون له قصّة لم تقع، ويصفون له حالا لم تكن، فواجههم بأنّ نفوسهم قد حسّنت لهم أمرا منكرا وذللته ويسّرت لهم ارتكابه، وأنّه سيصبر متحمّلا متجمّلا لا يجزع ولا يفزع ولا يشكو، مستعينا باللّه على ما يلفّقونه من حيل وأكاذيب ﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ ﴾"[1]،يحكي السياق على أنّ الله تعالى يخبر نبيّه الكريم بعودة إخوة يوسف من المرعى بعد غروب الشمس وحلول الظلام متباكين.فمن مكرهم اختاروا هذا التوقيت لأنهم اصطنعوا بكاءهم وأدوات جريمتهم، وبالتالي فلن

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12-18، 1976 .

تظهر ملامح كذبهم على وجوههم، ولا حتى الدم الكذب فلن يستطيع والدهم التحقّق منه؛ لكنهم نسوا أن القميص غير ممزق. فلذلك اكتشف يعقوب الدليل القوي على كذبهم، فكان ردّه أنّكم زينت لكم أنفسكم مُنكرًا وحسّنت لكم قبيحًا ليُشعرهم بالذّنب والخطيئة في حقه وفي حق ولده يوسف، وهو يعلم علم اليقين أنّ يوسف مصون في كنف العناية الإلهية؛ فتصبّر وتجمّل بالصبرمتيقّنًا بفرجِ اللّه ورحمته، وعليه تكون أركان السياق في هذه الآية الكريمة كالآتي:

المخاطِـــب: يعقوب .

المخاطَـــب: أولاده.

موضوع الخطاب: ردّ يعقوب على أبنائه بأنّ نفوسهم زيّنت لهم مُنكرًا وحسّنت لهم قبيحًا.

القصـــــد: ليشعرهم بخطيئتهم في حقّه وفي حقّ يوسف.

5- إخراج يوسف من الجب بالدلو وبيعه لأهل مصر

يقول سيد قطب: "ثمّ لنعد سريعا إلى يوسف في الجب، لنرى المشهد الأخير في هذه الحلقة الأولى من حلقات القصة."[1]

قال تعالى : ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

[1]- سيد قطب ،في ظلال القرآن،م4،ج12-18،ص1976 .

قال ابن كثير : " يقول تعالى مُخبِرًا عمّا جرى ليوسف، عليه السّلام،حين ألقاه إخوته، وتركوه في ذلك الجب فريدًا وحيدًا ينظرون مايصنع وما يصنع به، فساق اللّه له سيّارة، فنزلوا قريبا من تلك البئر، وأرسلوا واردهم – وهو الذي يتطلّب لهم الماء – فلما جاء تلك البئر، وأدلى دلوه فيها، تشبث يوسف، عليه السّلام، فيها، فأخرجه واستبشر به."[1]وكان ذلك عام 1729 ق.م في فترة حكم الملك (أبو فيس) أو (أبيبي) [2]كما ذكر ذلك محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره.

فسياق هذا المقطع القرآني يفيد بأنّ اللّه تعالى أخبر نبيّه الكريم إنّ إخوة يوسف لما ألقوه في الجب بقي أحد إخوته على قرب من الجب؛ لينظر ما يصنع يوسف أو يصنع به، فبعث اللّه له قافلةً تطلب الماء، وإذا بواردها يتفا جئ بوجود غلام في الدلو الذي رفعه من الجب!غلام حَسَنُ الخلْقِ لا تظهر عليه ملامح الرّق والاستعباد، فاستبشر وبشّر به قومه وكتموا سرّه، لكي لا يتهموا باسترقاقه وبيعه؛فلذلك سارعوا إلى بيعه بثمن زهيد،وعليه تكون أر كان السياق في هذا المقطع القرآني كالآتي :

المخاطِـــب: وارد القافلة.

المخاطَـــب: رجال القافلة.

موضوع الخطاب: فاجأه وجود غلام في دلو الماء واستبشاره به.

القصـــــد: لأنّ الغلام حسن الخلق لاتظهر عليه ملامح الرّق والاستعباد.

[1]– إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم،ص978، 979.

[2] – محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ج12، ص206 .

﴿ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ﴾ يقول صاحب تفسير في ظلال القرآن: " أي اعتبروه بضاعة سرية وعزموا على بيعه رقيقا. ولما لم يكن رقيقا فأسرّوه ليخفوه عن الأنظار.ثم باعوه بثمن قليل ..

﴿ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ لأنّهم كانوا يريدون التخلّص من تهمة استرقاقه وبيعه."[1] في سياق هذه الآية الكريمة يخبر اللّه تعالى نبيّه الكريم-صلّى الله عليه وسلّم -أنّ رجال القافلة التي وجدت يوسف -عليه السّلام- في الجب خافوا أن يفتضح أمرهم،فما كان عليهم إلاّ أن كتموا سرّه، وعجّلوا بيعه، مخافة أن يتّهموا بسرقته واسترقاقه، وعليه تكون أركان السياق في هذه الآية الكريمة كالآتي :

المخاطِـــب: رجال القافلة يبيعون يوسف لأهل مصر.

المخاطَـــب: الذي أراد شراء يوسف.

موضوع الخطاب: بيعه بثمن بخس.

القصـــــد: التخلّص من تهمة استرقاقه وبيعه.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

[1]-سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12-1976،18، 1977 .

قال سيد قطب: " الحلقة الثانية من حلقات القصّة، وقد وصل يوسف إلى مصر، وبيع بيع الرّقيق؛ ولكنّ الذي اشتراه توسّم فيه الخير – والخير يتوسّم في الوجوه الصباح –، وبخاصة حين تصاحبها السّجايا الملاح – فإذا هو يوصي به امرأته خيرًا، وهنا يبدأ أول خيط في تحقيق الرّؤيا".[1] وقال العلامة محمد الرازي في تفسيره: " وقال المحقّقون أمر العزيز امرأته بإكرام مثواه دون إكرام نفسه، يدل على أنّه كان ينظر إليه على سبيل الإجلال والتعظيم ...ثم قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي كما أنعمنا عليه بالسلامة من الجب مكنّاه بأن عطفنا عليه قلب العزيز، حتى توصّل بذلك إلى أن صار مُتمكِّنًا من الأمر والنّهي في أرض مصر."[2]في سياق هذا النّص القرآني يخبر اللّه تعالى نبيّه الكريم أنّه نجّى يوسف من محنة الجب، وانتقل إلى بيئة غير الذّي ربّي فيها،انتقل من بيئة البدو إلى بيئة القصر حيث الخدم والحشم وعادات وتقاليد غير التي عهدها في مجتمع بني كنعان؛ إنّهاتصاريف القدر،فهي محطات لإعداده لتحمّل عبء الحكمة والنّبوّة، وأنّ الذي اشتراه توسّم فيه خيرا،فأراد أن يتخذه ولدًا أو يتنفع بخدمته ونصحه،وعليه تكون أركان السياق في هذا النّص القرآني كالآتي:

المخاطِـــب: والي مدينة مصر واسمه (فوطيفار).[3]

المخاطَـــب: امرأته.

موضوع الخطاب: أمرها بإكرام مثوى يوسف.

---

[1]- سيد قطب ،في ظلال القرآن،م4،ج12-18،ص1978 .

[2]-محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1401هـ، 1981م ،ج18، ص112 .

[3]- ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج12، ص245 .

القصـــــد: اتخاذه ولدا أو الانتفاع بخدمته.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها بمصر، وقد أوصاها زوجها به وبإكرامه. ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ ﴾ أي: حاولته على نفسه، ودعته إليها ...وغلّقت عليه الأبواب ودعته إلى نفسها "[1].

قال الرازي في تفسيره :" قال المفسّرون: وإنّما جاء غلّقت على التّكثير لأنّها غلّقت سبعة أبواب ".[2] قال ابن كثير:" ﴿ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ ﴾ فامتنع من ذلك أشدّ الامتناع ."[3]

قال الرازي (ت604هـ) :" أنّ يوسف عليه السّلام كان بريئًا عن العمل الباطل، والهمُّ المحرّمُ، وهذا قول المحقّقين من المفسّرين والمتكلّمين، وبه نقول وعنه نَذُبّ.واعلم أنّ الدلائل الدّالة على وجوب عصمة الأنبياء عليهم السّلام كثيرة."[4]السياق في هذا المقطع القرآني يشير أنّ اللّه

---

[1]- إسماعيل بن عمر بن كثير،تفسير القرآن العظيم، ص980 .

[2]- محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1401هـ، 1981م ،ج18، ص115 .

[3]- المرجع السابق، ص980 .

[4]-المرجع السابق، ص118 .

تعالى أخبر نبيّه الكريم أنّ امرأة العزيز بعدما هيّأت الأجواء لتنفيذ رغبتهاحاولته عن نفسه،وتغليقها لجميع الأبواب قيل إنّها سبعة، لكنّ امتناعه كان أقوى من أن تغويه أو تخيفه؛ لأنّ قلبه كان موصولاً بخالقه وبارئه؛ كيف لا وعصمة النبوّة تحول بينه وبين محارم اللّه، وعليه تكون أركان السياق في هذا النّص القرآني كالآتي :

المخاطِـــب: امرأة العزيز .

المخاطَـــب: يوسف عليه السّلام .

موضوع الخطاب: مراودته عن نفسه .

القصـــد: دعوته إلى نفسها .

لكنّ يوسف الصدّيق الذي اصطفاه اللّه واجتباه وجعله من عباده المخلصين أجابها﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَاىَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ قال سيد قطب: " ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ ﴾ أُعيذ نفسي باللّه أن أفعل ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَاىَ ﴾ وأكرمني بأن نجّاني من الجب، وجعل في هذه الدّار مثواي الطيّب الآمن. ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ .. الذين يتجاوزون حدود اللّه، فيرتكبون ما تدعينني اللحظة إليه. والنّص هنا صريح وقاطع في أنّ رد يوسف المباشر على المراودة السافرة كان هو التّأبّي، المصحوب بتذكر نعمة اللّه عليه، وبتذكر حدوده وجزاء من يتجاوزون هذه الحدود."[1]في سياق هذه الآية الكريمة يخبر اللّه تعالى نبيّه الكريم-

[1]- سيد قطب ،في ظلال القرآن،م4،ج12-18، ص 1981 .

صلّى الله عليه وسلّم –أنّ يوسف لم يكن في مستوى نزواتها وحاشا له أن يكون كذلك؛ لأنّ اللّه اصطفاه واجتباه وبالتالي عصمه من كلّ خطيئة أو تجاوز لمحارم اللّه، فترفّع عن مطلبها الدنيء، وسما بنفسه إلى الملكوت الأعلى، حيث طهارة النّفس وزكاتها، وعليه تكون أركان السياق في هذه الآية الكريمة كالآتي:

المخاطِـــب: يوسف.

المخاطَـــب: امرأة العزيز.

موضوع الخطاب: تمنّعه ورفضه الاستجابة لرغبتها.

القصـــــد: عفته وطهارته وعصمته.

لكنّ كبرياء امرأة العزيز وإصرارها على إشباع رغبتها دفعا بها إلى أن تهمّ به ﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ ﴾ قال محمد الطاهر ابن عاشور:" ﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦ ﴾ مستأنفة استئنافًا ابتدائيا. والمقصود: أنّها كانت جادّة فيماراودته لامختبرة.والمقصود من ذكر همّها به التمهيد إلى ذكر انتفاء همّه بها لبيان الفرق بين حاليهما في الدّين فإنّه معصوم ."[1]وقال أيضا: " وقال جماعة: همّ يوسف بأن يجيبها لما دعته إليه ثمّ ارعوى وانكفّ على ذلك لما رأى برهان ربّه.قاله ابن عباس، وقتادة، وابن أبي مليكة، وثعلب.وبيان هذا أنّه انصرف عمّا همّ به

[1]– محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،م12، ص252 .

بحفظ اللّه أو بعصمته، والهمّ بالسيّئة مع الكفّ عن إيقاعها ليس بكبيرة فلا ينافي عصمة الأنبياء من الكبائر قبل النّبوءة على قول من رأى عصمتهم منها قبل النّبوءة وهو قول الجمهور."[1]

قال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٥ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ ٢٩ ﴾

قال ابن كثير(ت774هـ):" يخبر تعالى عن حالهما حين خرجا يستبقان إلى الباب، يوسف هارب، والمرأة تطلبه ليرجع إلى البيت، فلحقته في أثناء ذلك، فأمسكت بقميصه من ورائه فقدّته قدًّا فظيعًا، يقال: إنّه سقط عنه، واستمر يوسف هاربا ذاهبا، وهي في إثره، فألفيا سيّدها – وهو زوجها – عند الباب، فعند ذلك خرجت مما هي فيه بمكرها وكيدها، وقالت لزوجها متنصّلة وقاذفة يوسف بدائها."[2] وقال محمد الطاهر ابن عاشور: " وابتدرته بالكلام إمعانا في البهتان بحيث لم تتلعثم، تخيل له أنّها على الحق، وأفرغت الكلام في قالب كلي لأخذ صيغة القانون، وليكون قاعدة لايعرف المقصود منها فلا يسع المخاطب إلاّ الإقرار لها، ولعلّها كانت تخشى أن

[1]– المصدر نفسه،ص 253 .

[2]– إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم،ص981 .

تكون محبة العزيز ليوسف – عليه السّلام – مانعة له من عقابه، فأفرغت كلامها في قالب كلي. وكانت تريد بذلك أن لايشعر زوجها بأنّها تهوى غير سيّدها، وأن تخيف يوسف– عليه السّلام – من كيدهالئلا يمتنع منها مرة اخرى."[1] في سياق هذا النص القرآني يخبر اللّه تعالى نبيّه الكريم– صلّى الله عليه وسلّم –عن مشهد هروب يوسف من امرأة العزيز نحو باب الحجرة ؛فتفاجأت بوجود زوجها أمام الباب من الخارج فبادرته باتهام يوسف لتبعد شبهة مراودتها يوسف عن نفسه، وتبين لزوجها مدى حبّهاووفائها له، وعليه تكون أركان السياق في هذا المقطع القرآني كالآتي:

المخاطِـــب: امرأة العزيز.

المخاطَـــب: عزيز مصر.

موضوع الخطاب: اتّهام يوسف وقذفه بالفاحشة.

القصـــــد: تظهر وفاءها لزوجها، وتخيف يوسف لئلا يتمنّع منها مرة أخرى.

قال سيد قطب :" ويجهر يوسف بالحقيقة في وجه الاتهام الباطل : ﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ ﴾ "[2]وقال ابن كثير في تفسيره: " فعند ذلك انتصر يوسف، عليه السّلام،بالحقّ، وتبرّأ مما رمته به من الخيانة، وقال بارّا صادقا ﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ ﴾، وذكر أنّها اتبعته تجذبه إليها حتّى قدّت قميصه."[3]يصور لنا السياق في هذه الآية الكريمة أنّ اللّه تعالى أخبر نبيّه

[1]– محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، م12، ص256 .

[2]– سيد قطب ،في ظلال القرآن،م4،ج12–18، ص1982 .

[3]– إسماعيل بن عمر بن كثير ،تفسير القرآن العظيم، ص981 .

الكريم باستمرار امرأة العزيز في همّها للإيقاع بيوسف في حبائل نزوتها، باذلة في ذلك قصارى جهدها؛ لكنّ يوسف الصدّيق لم يرضخ لتهديدها وتخويفها؛ بل زاده ذلك استعصامًا بربّه ولجوءًا إليه، فجهر بالحقيقة في وجه زوجها معلنا براءته ممّا رمته به، واستعداده لما ستعاقبه به،معتبرا كل ذلك هيّنا مقابل التجاوز على محارم اللّه، وعليه تكون أركان السياق في هذه الآية الكريمة كالآتي :

المخاطِـــب: يوسف.

المخاطَـــب: عزيز مصر.

موضوع الخطاب: رفض يوسف اتّهام امرأة العزيز.

القصـــــد: تبرُّؤًا من الخيانة.

قال سيد قطب:" وهنا يذكر السيّاق أنّ أحد أهلها حسم بشهادته في هذا النّزاع [1]"، وقال صاحب تفسير التحرير والتنوير :" وسمّي قوله شهادة لأنّه يؤوّل إلى إظهار الحق في أثبات اعتداء يوسف – عليه السّلام – على سيّدته أو دحضه وهذا من القضاء بالقرينة البيّنة لأنّها لو كانت أمسكت ثوبه لأجل القبض عليه لعقابه لكان ذلك في حال استقباله له إيّاها فإذا أراد الانفلات منها تخرّق قميصه من قبل، وبالعكس إن كان إمساكه في حال فرار وإعراض. ولا شكّ أنّ الاستدلال بكيفية تمزيق القميص نشأ عن ذكر امرأة العزيز وقوع تمزيق القميص تحاول أن تجعله حجة على أنّها أمسكته لتعاقبه، ولولا ذلك ما خطر ببال الشّاهد أنّ تمزيقًا وقع وإلاّ فمن أين علم الشّاهد تمزيق القميص. والظّاهر أنّ الشّاهد كان يظن صدقها فأراد أن يقيم دليلا على صدقها فوقع عكس ذلك كرامة ليوسف– عليه السّلام – ."[2]

[1]–المرجع السابق، ص1982 .

[2]– محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، م12 ،ص257 .

لكنّ السياق يفيد أنّ اللّه تعالى أخبر نبيّه عن شاهد من أهلها بعدما عرف أن قميص يوسف قد قدّ ظنّ أنّ سيدته بريئة وأن يوسف هو المتهم، فأراد الإدلاء بشهادته علّها تكون دليلاً قاطعًا عل اتهام يوسف ،وعليه تكون أركان السيّاق في هذا النص القرآني كالآتي :

المخاطِـــب: شاهد من أهل امرأة العزيز .

المخاطَـــب: عزيز مصر.

موضوع الخطاب: الإدلاء بشهادته .

القصـــــد: إقامة الدّليل على صدق امرأة العزيز .

قال ابن كثير في تفسيره: " ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ ﴾ أي: فلمّا تحقّق زوجها صدق يوسف وكذبها فيما قذفته ورمته به، ﴿قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ ﴾ أي: أنّ هذا البهت واللطخ الذي لطّخت عرض هذا الشاب به من جملة كيدكن،﴿إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨ ﴾ ."[1]وقال محمد الطاهر ابن عاشور: " والذي رأى قميصه قدّ من دبر: وقال إنّه من كيدكن، هو العزيز لامحالة، وقد استبان لديه براءة يوسف – عليه السّلام – من الاعتداء على المرأة فاكتفى بلوم زوجه بأنّ ادّعاءها عليه من كيد النّساء؛ فضمير جمع الإناث خطاب لها فدخل فيه من هن من صنفها بتنزيلهن منزلة الحواضر."[2]سياق هذه الآية الكريمة يشير أنّ اللّه تعالى أخبر نبيّه الكريم–صلّى الله عليه وسلّم – أنّ العناية الإلهية تتجلّى مرة أخرى،لتسند يوسف في محنته هذه،فبعد السماع لشهادة الشاهد هاهم يكتشفون الدّليل. نعم إنّه دليل براءة يوسف واتهام امرأة

[1]– إسماعيل بن عمر بن كثير،تفسير القرآن العظيم، ص982.

[2]– محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،م12،ص258 .

العزيز؛لأنّ المقادير تجري بما دبّره ربّ المقادير لا بما أرادته امرأة العزيز وشاهدها،ويتأكّد زوجها من براءة يوسف؛لكنّه لم يستطع مواجهة زوجه إلا بقوله كفّي عن اتهامك له، وعليه تكون أركان السياق في هذا النص القرآني كالآتي :

المخاطِـــب: عزيز مصر .

المخاطَـــب: امرأته

موضوع الخطاب: تحقّق العزيز من براءة يوسف.

القصـــــد: لوم زوجه ادّعاءها على يوسف وكيدها له وأمرها بعدم قذفه .

قال ابن كثير :" ثمّ قال آمرا ليوسف، عليه السّلام، بكتمان ما وقع: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا ۚ ﴾أي: اضرب عن هذا الأمر صفحا، فلا تذكره لأحد ."[1]فسياق هذه الآية الكريمة يفيدأنّ اللّه تعالى أخبر نبيّه الكريم-صلّى الله عليه وسلّم – أنّ هذا الخبر سيهزّ سمعة عائلة العزيز بين نظيراتها من عائلات وزراء وكبراء المدينة، وتفوح رائحته نتانة في جنبات القصر، فما على العزيز إلاّطيّ صفحته وكتم سرّه، ولن يتأتّى ذلك إلاّ بمشاركة يوسف الطاهر العفيف؛ الذي سيكشف عرضه الناصع البياض زيف وكذب ما رمته به امرأته،فما على العزيز إلاّ أن طلب من يوسف أن يكتم الأمر، ويطوي صفحته خوفا على سمعة العائلة، وعليه تكون أركان السياق في هذه الآية الكريمة كالآتي :

المخاطِـــب: العزيز.

[1]– إسماعيل بن عمر بن كثير،تفسير القرآن العظيم، ص 982 .

المخاطَـــب: يوسف.

موضوع الخطاب: أمر يوسف بإهمال ما رمته به زوجه، وطلب منه كتمانه.

القصـــــد: المحافظة على سمعة العائلة.

قال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرِی لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ قال صاحب تفسير التحرير والتنوير:" وأمر زوجه بالإستغفارمن ذنبها ،أي في اتهامها يوسف – عليه السّلام – بالجرأة والإعتداء عليها "[1] ﴿ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

الفصل الثاني

السياق وأركانه في آيات ما بعد السّجن

أولا: شيوع خبر امرأة العزيز في مصر وأحداث يوسف في السجن

ثانيا: خروج يوسف من السجن و رجوع إخوته إليه بصحبة أخيه

ثالثا:معاتبة إخوة يوسف بعضهم بعضا وإعطاؤهم قميصه ليشمه

رابعا:دخول إخوته وأبويه عليه والحكم من القصص القرآني

تتمة للمرحلة الأولى- دخول يوسف السجن- ثم المرحلة الثانية التي تتمثّل في خروج يوسف من السجن ورفعة شأنه.

أولاً:شيوع خبر امرأة العزيز في المدينة وأحداث يوسف في السّجن.

1- شيوع خبر امرأة العزيز في مصر وموقفها منه.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۦۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢ ﴾ " يخبرتعالى أنّ خبر يوسف وامرأة العزيز شاع في المدينة، وهي مصر حتى يحدّث الناس به، ﴿ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ﴾ مثل نساء الأمراء والكبراء، ينكرن على امرأة العزيز، وهو الوزير، ويعبن ذلك عليها:

﴿ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ ﴾ أي: تحاول غلامها عن نفسه، وتدعوه إلى نفسها، ﴿ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ ﴾.. ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠ ﴾ أي: في صنيعها هذا من حبّها فتاها، ومراودتها إيّاه عن نفسه ."[1]يخبر السياق في هذا المقطع القرآني أنّ اللّه تعالى أخبر نبيّه الكريم-صلّى الله عليه وسلّم - أنّ خبر مراودة امرأة

[1]- إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 982 .

العزيز ليوسف عن نفسه طار في المدينة كالنّار في الهشيم، وأصبح فاكهة مجالس نساء الكبراء والأمراء، ولم تجد امرأة العزيز بدّا من إخماد ناره؛فقررت استضافتهنّ لتقيم دليل الرغبة والميل إلى يوسف عليهن، وعليه تكون أركان السياق في هذا المقطع القرآني كالآتي :

المخاطِـــب: نساء أمراء وكبراء مصر.

المخاطَـــب: امرأة العزيز .

موضوع الخطاب: شيوع خبر مراودة امرأة العزيز يوسف عن نفسه بين نساء الأمراء والكبراء في مصر.

القصـــــد: إغراءها بعرض يوسف عليهن فيرين جماله.

قال سيد قطب:" وهنا كذلك يقع مالايمكن وقوعه إلاّ في مثل هذه الأوساط. ويكشف السياق عن مشهد من صنع تلك المرأة الجريئة، التي تعرف كيف تواجه نساء طبقتها بمكر كمكرهن وكيد من كيدهن ...لقد أقامت لهن مأدبة في قصرها. وندرك من هذا أنّهنّ كنّ من نساء الطبقة الرّاقية. فهنّ اللّواتي يدعين إلى المآدب في القصور. وهنّ اللّواتي يؤخذن بهذه الوسائل النّاعمة المظهر. ويبدو أنّهنّ كنّ يأكلن وهنّ متّكئات على الوسائد والحشايا على عادة الشّرق في ذلك الزّمان. فأعدّت لهنّ هذا المتّكأ. وآتت كلّ واحدة منهنّ سكّينا تستعملها في الطّعام – ويؤخذ من هذا أنّ الحضارة الماديّة في مصر كانت قد بلغت شأوا بعيدا،وأنّ التّرف في القصور كان عظيما. فإنّ استعمال السّكاكين في الأكل قبل هذه الآلاف من السّنين له قيمته في تصوير التّرف والحضارة

المادّيّة. وبينما هنّ منشغلات بتقطيع اللحم أو تقشير الفاكهة ،فاجأتهنّ بيوسف ﴿وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ﴾ "[1]

يصوّر لنا السياق أنّ اللّه تعالى أخبر نبيّه الكريم بأنّ زوج العزيزقد استضافت خليلاتها وأعدّت لهنّ متّكئا،وقدّمت لهنّ من الفاكهة والطّعام ما لذّ وطاب، وآتت كلّ واحدة منهنّ سكّينا وما أن انغمسن في ترفهنّ حتّى طلبت من يوسف أن يخرج عليهنّ،فخرج عليهن فلمّا رأينه انبهرن لحسنه وبهاء طلعته، فقطّعن أيديهنّ بالسّكاكين، فلم ينتبهن إلاّ والدّم يسيل من أيديهن، فاعترفن بأنّه ماينبغي أن يكون هذا بشرا من شدة حسنه، حتما إن هو إلاّ ملك كريم، وعليه تكون أركان السياق في هذا النص القرآني كالآتي:

المخاطِـــب: امرأة العزيز.

المخاطَـــب: يوسف عليه السّلام.

موضوع الخطاب: أمرته بالخروج على ضيفاتهن من نساء الأمراء والأكابر.

القصـــــد: ليكففن عن حديثهن عليها ولا يلومنها فيما ترغب فيه منه.

﴿فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾ بهتن لطلعته، ودهشن."[2] وقال محمد الطاهر ابن عاشور :"وتقطيع أيديهنّ كان من الذّهول، أي أجرين السّكاكين على أيديهنّ يحسبن أنهنّ يقطّعن الفواكه، وأريد بالقطع هو الجرح، أطلق عليه القطع مجازا للمبالغة في شدّته، حتّى كأنّه قطع قطعة من لحم اليد."[3] قال صاحب كتاب في ظلال القرآن" ﴿وَقُلۡنَ حَـٰشَ لِلَّهِ﴾ وهي كلمة تنزيه تقال في هذا الموضع تعبيرا عن الدّهشة بصنع اللّه ﴿مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ وهذه

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12-18،ص 1984.

[2]- سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12-18 ،ص1984.

[3]- محمد الطاهر ابن عاشور،تفسير التحرير والتنوير،م12، ص263 .

التعبيرات دليل ... على تسرّب شيء من ديانات التوحيد في ذلك الزّمان ..."[1]السياق هنا يفيدأنّ اللّه تعالى أخبر نبيّه الكريم بأنّ امرأة العزيزوضعت ضيفاتها أمام أمر حرج، إنّهن أصبن بالذّهول والدّهشة من حسن وجمال يوسف الأخّاذ، إنّها بكل بساطة تريد إقامة الحجّة عليهنّ، لئلاّ يلومنها مرّة أخرى في صنيعها مع يوسف، وبالفعل لقد افتكّت منهن عذلهن لها، فتبجّحت واعترفت بمراودتها له،متوعّدة ومهدّدة إيّاه بالسّجن والعقاب إن لم يرضخ لرغبتها، وعليه تكون أركان السياق كالآتي:

المخاطِـــب: ضيفات امرأة العزيز.

المخاطَـــب: امرأة العزيز.

موضوع الخطاب: تنزيه يوسف.

القصـــــد: بهتن لطلعته ودهشن.

﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ﴾ فانظرن ماذا لقيتن منه من البهر والدّهش والإعجاب وعليه تكون أركان السياق في هذه الآية الكريمة كالآتي :

المخاطِـــب: امرأة العزيز.

المخاطَـــب: ضيفاتها من نساء الأكابر والأمراء.

موضوع الخطاب: لومهن على حديثهن في مراودتها يوسف.

القصـــــد: انتزاع عذرهن لها.

قال صاحب تفسير روح المعاني:" ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ وهو إباحة منها ببقيّة سرّها بعد أن اقامت عليهنّ الحجّة وأوضحت لديهن عذرها وقد أصابهن من قبله ماأصابها أي

[1]- المرجع السابق، ص 1984 .

واللّه لقد راودته حسبما قلتن وسمعتن ﴿ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ ﴾ قال ابن عطية: أي طلب العصمة وتمسّك بها وعصاني ."[1]

قال تعالى: ﴿وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢﴾ قال صاحب تفسير التحرير والتنوير: "ولم تزل مصممة على مراودته تصريحا بفرط حبّها إياه، واستشماخا بعظمتها، وأن لايعصي أمرها، فأكّدت حصول سجنه بنوني التوكيد، وقد قالت ذلك بمسمع منه ارهابا له."[2] يفيد السياق في هذه الآية الكريمة أنّ اللّه تعالى أخبر نبيّه الكريم-صلّى الله عليه وسلّم – عن مدى تعنّت امرأة العزيزوتمسّكها بطلبها في المراودة، ولذلك راحت تهدّده وتخيفه لتاثّر عليه فينصاع لرغبتها، وعليه تكون أركان السياق في هذه الآية الكريمة كالآتي :

المخاطِـــب: امرأة العزيز.

المخاطَـــب: يوسف

موضوع الخطاب: تهديد يوسف وتخويفه بالسجن .

القصـــــد: لئلاّ يتمنّع منها مرة أخرى وينصاع لشهوتها .

2- أحـــداث يوسف في السّجن

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٤ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥ ﴾

[1]- شهاب الدين السيد محمود الالوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح:أبو عبد الرحمان فؤاد بن سراج عبد الغفار، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، م7، ج12، ص 318 .

[2]- محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،م12،ص264 .

قال محمد الطاهر ابن عاشور: "وهذا الكلام مناجاة لربّه الذي هو شاهدهم، فالظّاهر أنّه قال هذا القول في نفسه. ويحتمل انّه جهر به في ملئهن تأييسا لهن من أن يفعل ماتأمره به... فالإخبار بأنّ السّجن أحبّ إليه من الاستمتاع بالمرأة مستعمل في إنشاء الرّضى بالسّجن في مرضات اللّه تعالى والتباعد عن محارمه . "[1]ثمّ يواصل الشيخ ابن عاشورحديثه قائلا:" وصرف كيدهن عنه صرف أثره، وذلك بأن ثبّته على العصمة فلم ينخدع لكيدها ولا لكيد خلائلها في أضيق الأوقات ... أي أجاب دعاءه بدون مهلة لأنّه سريع الإجابة وعليم بالضّمائر الخالصة، فالسّمع مستعمل في إجابة المطلوب، يقال: سمع اللّه لمن حمده، وتأكيده بضمير الفصل لتحقيق ذلك المعنى." [2] ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥ ﴾ قال ابن كثير: " يقول تعالى: ثمّ ظهر لهم من المصلحة فيما رأوه أنّهم يسجنونه إلى حين، أي: إلى مدّة، وذلك بعدما عرفوا براءتهّ، وظهرت الآيات – وهي الأدلّة– على صدقه في عفته ونزاهته. فكأنّهم – واللّه أعلم – إنّما سجنوه لما شاع الحديث إيهاما أنّ هذا راودها عن نفسه، وأنّهم سجنوه على ذلك "[3]. في سياق هذا النص القرآني يخبر اللّه تعالىنبيّه الكريم–صلّى الله عليه وسلّم – إنّ عزيز مصر خاف على سمعة العائلة؛ لذلك قرّر إخفاءه عن الأنظاروذلك بسجنه وهذا أيضا يمثّل استجابة الله تعالى لدعاء يوسف؛ بأن يصرف عنه كيدهن فاختار السجن ليكون له بمثابة الخلوة التي يتقرّب فيها إلى خالقه، وعليه تكون أركان السياق في هذه الآية الكريمة كالآتي :

المخاطِـــــب: يوسف عليه.

المخاطَـــــب: اللّه –سبحانه وتعالى–.

[1]– محمد الطاهر ابن عاشور،تفسير التحرير والتنوير،م12، ص 265 .

[2]– المصدر نفسه، ص 267 .

[3]– إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم،ص 983 .

موضوع الخطاب: يناجي يوسف ربّه بأن يصرف عنه كيد امرأة العزيز وخلائلها ؛ وليكن السّجن أحبّ إليه من الانصياع لرغباتهن.

القصـــــد: اللّجوء إلى اللّه خوفا من تجاوز محارمه.

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ قال ابن كثير:" قال قتادة: كان أحدهما ساقي الملك، والآخر خبّازه ... وكان سبب حبس الملك، إيّاهما أنّه توهّم أنّهما تمالآ على سمّه في طعامه وشرابه. "[1] وقال سيد قطب: " ويختصر السيّاق ماكان من أمر يوسف في السّجن، وما ظهر من صلاحه وإحسانه، فوجّه إليه الأنظار، وجعله موضع ثقة المساجين، وفيهم الكثيرون ممن ساقهم سوء الطالع مثله للعمل في القصر أو الحاشية، فغضب عليهم في نزوة عارضة، فألقى بهم في السّجن .. يختصر السياق هذا كله ليعرض مشهد يوسف في السّجن وعلى جواره فتيان أنسا إليه، فهما يقصّان عليه رؤيا رأياها. ويطلبان إليه تعبيرها، لما يتوسّمانه فيه من الطّيبة والصّلاح وإحسان العبادة والذّكر والسّلوك. "[2] في سياق هذه الآية الكريمة يخبراللّه تعالى نبيّه الكريم –صلّى الله عليه وسلّم–أنّ يوسف كان متميّزا بسلوكه وعبادته وحسن أخلاقه داخل السّجن ؛ فلذلك جلب انتباه فتيان من السّجناء فاستأنسا إليه وتقرّبا منه، يقال أنّهما ساقي الملك وخبّازه طلبا من يوسف تعبير رؤيا رآياها، وبالتالي تكون أركان السياق في هذه الآية الكريمة كالآتي :

المخاطِـــب: ساقي الملك وخبّازه.

المخاطَـــب: يوسف .

[1]– المصدر نفسه، ص983 .

[2]–سيد قطب،في ظلال القرآن،م4،ج12–18، ص1987 ،1988.

موضوع الخطاب: قصّا رؤياهما عليه.

القصـــــد: تأويل رؤيا هما .

قال تعالى : ﴿ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠ ﴾

قال محمد الطاهر ابن عاشور: " أراد بهذا الجواب أن يفترص إقبالهما عليه وملازمة الحديث معه إذ هما يترقبان تعبيره الرّؤيا فيدمج في ذلك دعوتهما إلى الإيمان الصّحيح مع الوعد بأنّه يعبّر لهما رؤياهما غير بعيد، وجعل لذلك وقتا معلوما لهم. وهو وقت إحظار طعام المساجين ... فأخبر بأنّ سبب عناية اللّه به أنّه انفرد في ذلك المكان بتوحيد اللّه وترك ملة أهل المدينة، فأراد اللّه اختياره لهديهم ... وأراد بالقوم الذين لايؤمنون باللّه مايشمل الكنعانيين الذين نشأ فيهم والقبط الذين شبّ فيهم... وزيادة ضمير الفصل في قوله ﴿ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ ﴾ أراد بذلك تخصيص قوم منهم بذلك وهم الكنعانيون؛ لأنّهم كانوا ينكرون البعث مثل كفّار العرب وأراد بذلك إخراج القبط لأنّ القبط وإن كانوا مشركين فقد كانوا يثبتون بعث الأرواح والجزاء."[1] يقول

[1]– محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،م12،ص 270، 272 .

ابن كثير ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ ﴾ .يقول: هجرت طريق الكفر و الشّرك وسلكت طريق هؤلاء المرسلين، صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين ".[1]

يقول سيد قطب: "مدخل لطيف .. وخطوة خطوة في حذر ولين ثمّ يتوغّل في قلبيهما أكثر فأكثر، ويفصح عن عقيدته ودعوته إفصاحا كاملا، ويكشف عن فساد اعتقادهما واعتقاد قومهما، وفساد ذلك الواقع النّكد الذي يعيشون فيه .

﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ لقد رسم يوسف –عليه السّلام – بهذه الكلمات القليلة النّاصعة الحاسمة المنيرة، كلّ معالم هذا الدّين، وكلّ مقوّمات هذه العقيدة. كما هزّ بها كلّ قوائم الشّرك والطاغوت والجاهليّة هزّا شديدا عنيفا.

﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ إنّه يتخذ منهما صاحبين، ويتحبّب إليهما هذه الصّفة المؤنسة، ليدخل من هذا المدخل إلى صلب الدّعوة وجسم العقيدة . وهو لايدعوهما إليها دعوة مباشرة، إنّما يعرضها قضية موضوعية ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ وهو سؤال يهجم على الفطرة في أعماقها ويهزّها هزّا شديدا .. إنّ الفطرة تعرف إلها واحدا ففيم إذن تعدّد الأرباب ؟.. إنّ الذي يستحق أن يكون ربّا يعبد ويطاع أمره ويتبع شرعه هو اللّه

[1]– إسماعيل بن عمر بن كثير،تفسير القرآن العظيم، ص984 .

الواحد القهّار... ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ ﴾ إنّ هذه الأرباب – سواء كانت من البشر أم من غير البشر من الأرواح والشّياطين والملائكة والقوى الكونية المسخّرة بأمر اللّه – ليست من الرّبوبية في شئ ...فالرّبوبية لاتكون إلاّ للّه الواحد القهّار."[1]

من خلال سياق هذا المقطع القرآني نستنتج أنّ الله تعالى أخبر نبيّه الكريم–صلّى الله عليه وسلّم – إنّ يوسف انتهز فرصة استئناس ساقي الملك وخبّازه إليه؛ ليجعل من ذلك ممرّا إلى قلبيهمامُرسِلاً لهماومضات إيمانية تشعّ بفيض العبودية للّه الواحد دون غيره من آلهة الشرك والوثنية التي تتعلّق بهم قلوب أغلب النّاس في ذلك العصر.ّومضات يغمرها الإيمان وتوحيد اللّه ليطهّر قلبيهما من أدران الشرك، وعليه تكون أركان السياق في هذا المقطع القرآني كالآتي :

المخاطِـــب: يوسف.

المخاطَـــب: ساقي الملك وخبّازه.

موضوع الخطاب: حوار يوسف مع ساقي الملك وخبّازه حول وحدانية اللّه .

القصـــــد: دعوة يوسف ساقي الملك وخبّازه إلى توحيد اللّه.

قال تعالى: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾

قال سيد قطب :"ولم يعين من هو صاحب البشرى ومن هو صاحب المصير السيّئ تلطفا وتحرّجا من المواجهة بالشرّ والسّوء ولكنّه أكّد لهما الأمر واثقا من العلم الذي وهبه اللّه له.

﴿ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾ وانتهى فهو كائن كما قضاه اللّه ."[2] يشير السياق في هذا النص القرآني أنّ اللّه تعالى أخبر نبيّه الكريم–صلّى الله عليه وسلّم –بأنّ يوسف

[1]– سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12-18، ص1989، 1990 .

[2]– سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12-18 ، ص 1992 .

بعدما دخل في حوار إيماني مع ساقي الملك وخبّازه؛ عبّر لهما رؤياهما،وعليه تكون أركان السياق في هذا النص القرآني كالآتي :

المخاطِـــب: يوسف .

المخاطَـــب: ساقي الملك وخبّازه.

موضوع الخطاب: إجابة يوسف ساقي الملك وخبازه عن سؤالهما.

القصـــــد: تعبير رؤيـــا هما.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾

قال سيد قطب :" اذكر حالي ووضعي وحقيقتي عند سيدك وحاكمك ... وهنا يسقط السيّاق أنّ التّأويل قد تحقّق، وأنّ الأمر قد قضي على أوّله يوسف ... ولكن الذي ظنّ يوسف أنّه ناج فنجا فعلا لم ينفّذ الوصيّة، ذلك أنّه نسي الدّرس الذي لقّنه له يوسف، ونسي ذكر ربّه في زحمة حياة القصروملهياتها وقد عاد إليها، فنسي يوسف وأمره كلّه. ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ والضمير الأخير في لبث عائد على يوسف. وقد شاء ربّه أن يعلّمه كيف يقطع الأسباب كلّها ويستمسك بسببه وحده، فلم يجعل قضاء حاجته على يد عبد ولا سبب يرتبط بعبد. وكان هذا من اصطفائه وإكرامه ".[1]يتحدّث السياق في هذه الآية الكريمة بأنّ اللّه تعالى أخبر نبيّه الكريم-صلّى الله عليه وسلّم - إنّ يوسف طلب من ساقي الملك الذي ظنّ أنّه ناج من السّجن التّوسّط له عند الملك ليتحرّى في قضيّة سجنه؛ لكنّ اللّه سبحانه وتعالى لم يرض أن يتعلّق أمر يوسف بأيّ مخلوق مهما كانت مكانته ومركزه الاجتماع؛

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12-18 ، ص 1992 .

بل اصطفاه واجتباه له وحده؛لذلك نسي ساقي الملك أن يذكر قضية يوسف للملك؛لكي يبقى حبل اتصاله موصولاً باللّه وحده دون غيره،وعليه تكون أركان السيّاق في هذه الآية الكريمة كالآتي:

المخاطِـــب: يوسف عليه السّلام.

المخاطَـــب: ساقي الملك.

موضوع الخطاب: طلب يوسف من الساقي التوسّط له عند الملك ليتفحّص ويتحرّى في قضية سجنه.

القصـــــد: الأخـــذ بالأسباب.

3- رؤيا ملك مصر وتـــأويل يوسف لها

قال تعالى :﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤﴾

قال ابن كثير :" هذه الرّؤيا من ملك مصر ممّا قدّر الله تعالى أنّها كانت سبباً لخروج يوسف – عليه السّلام – من السّجن معزّزا مكرّما، وذلك إنّ الملك رأى هذه الرّؤيا، فهالته وتعجّب من أمرها، وما يكون تفسيرها، فجمع الكهنة والحزاة وكبراء دولته وأمراءه وقصّ عليهم مارأى، وسألهم عن تأويلها، فلم يعرفوا ذلك واعتذروا إليه بأنّ هذه ﴿ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ ﴾ أي: أخلاط اقتضت رؤياك هذه، ﴿ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤ ﴾أي: ولو كانت رؤيا صحيحة من أخلاط، لما كان معرفة بتأويلها، وهو تعبيرها"[1]. سياق هذا المقطع القرآني يفيد بأنّ اللّه تعالى أخبر نبيّه الكريم–صلّى الله عليه وسلّم – إنّ الملك رأى رؤيا فهالته وتعجّب منها، فجمع كهنته

[1]– إسماعيل بن عمر بن كثير ،تفسير القرآن العظيم، ص985 .

وقصّ عليهم رؤياه التي رآها، طالبا منهم تأويلها له لكنّهم ردّوا عليه بجهلهم تعبيرها، وماهي برؤيا تستحقّ التّعبير والتّأويل،فماهي إلاّ أضغاث أحلام وأخلاط منام، وعليه تكون أركان السياق في هذه الآية الكريمة كالآتي :

المخاطِـــب: ملك مصر.

المخاطَـــب: حاشية الملك وكهنته.

موضوع الخطاب: إخبارهم بالرؤيا التي رآها.

القصـــــد: طلب الملك من كهنته وحاشيته تأويل رؤياه.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾

" فعند ذلك تذكّر ذلك الذي نجا من ذينك الفتيين الذين كانا في السّجن مع يوسف وكان الشّيطان قد أنساه ماوصّاه به يوسف. من ذكر لأمره للملك، فعند ذلك تذكّر ﴿ بَعۡدَ أُمَّةٍ ﴾ أي: مدّة...فقال للملك والذين جمعهم لذلك ﴿ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ ﴾أي: بتأويل هذا المنام ﴿ فَأَرۡسِلُون ﴿٤٥﴾ ﴾أي: فابعثون إلى يوسف الصدّيق إلى السّجن" [1]. لكنّ في سياق هذه الآية الكريمة يخبرنا اللّه تعالى الرسول أنّ ساقي الملك تذكّر يوسف السّجين الذي له علم بتأويل الرّؤيا، فطلب من الملك وحاشيته أن يبعثوه ليوسف في سجنه حتّى يؤوّل له رؤياه، وبالتالي تكون أركان السيّاق في هذه الآية الكريمة كالآتي :

المخاطِـــب: ساقي الملك.

المخاطَـــب: الملك وحاشيته.

موضوع الخطاب: طلب من الملك أن يرسله إلى يوسف في سجنه لتأويل رؤياه.

القصـــــد: تأويل رؤيا الملك.

[1]– إسماعيل بن عمر بن كثير ،تفسير القرآن العظيم ، ص 985 .

قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٤٦﴾

وذكر المنام الذي رآه الملك "[1]، في سياق هذه الآية الكريمة يخبر اللّه تعالى نبيّه الكريم-صلّى الله عليه وسلّم -؛إنّ الملك بعث ساقيه إلى يوسف في سجنه وقصّ عليه رؤيا الملك طالبا منه تعبيرها له، وعليه تكون أركان السيّاق في هذه الآية الكريمة كالآتي :

المخاطِـــب: ساقي الملك.

المخاطَـــب: يوسف.

موضوع الخطاب: قصّ رؤيا الملك على يوسف.

القصـــــد: تأويل رؤيا الملك.

قال تعالى: ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ٤٧ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ٤٨ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ٤٩﴾

فعند ذلك ذكر له يوسف، عليه السّلام، تعبيرها من غير تعنيف لذلك الفتى في نسيانه ماوصّاه به من غير اشتراط للخروج قبل ذلك "[2] قال محمد الطاهر ابن عاشور: " عبّر الرّؤيا بجميع مادلّت عليه، فالبقرات لسنين الزّراعة، لأنّ البقرة تتخذ للإثمار، والسّمن رمز للخصب. والعجف رمز القحط. والسّنبلات رمز للأقوات؛ فالسّنبلات الخضر رمز لطعام ينتفع به، وكونها سبعا رمز للإنتفاع به في السّبع السّنين، فكل سنبلة رمز لطعام سنة، فذلك يقتاتونه في تلك السّنين جديدا.

[1] – إسماعيل بن عمر بن كثير ،تفسير القرآن العظيم ، ص 985 .

[2] – المصدر نفسه، ص 985 .

والسّنبلات اليابسات رمزاً لما يدّخر، وكونها سبعاً رمز لادّخارها في سبع سنين لأنّ البقرات العجاف أكلت البقرات السّمان، وتأويل ذلك: أنّ سنى الجدب أتت على ماأثمرته سنو الخصب ... وأشا ر إلى إبقاء ما فضل عن أقواتهم في سنبله ليكون أسلم له من إصابة السّوس الذي يصيب الحبّ إذا تراكم. بعضه على بعض فإذا كان في سنبله دفع عنه السّوس وأشار عليهم بتقليل ما يأكلون في سنوات الخصب لادخار ما فضل عن ذلك لزمن الشدّة."[1]إنّ السياق في هذا النص القرآني يفيدبأنّ اللّه تعالى أخبر نبيّه الكريم-صلّى الله عليه وسلّم -بوصول ساقي الملك إلى يوسف في سجنه، وقصّ عليه رؤيا الملك فما على يوسف إلاّ أن بادر بتأويلها دون قيد أو شرط، أو تأنيب للساقي على نسيان قضيته أمام الملك، وعليه تكون أركان السياق في هذا النّص القرآني كالآتي:

المخاطِـــب: يوسف.

المخاطَـــب: ساقي الملك.

موضوع الخطاب: تأويل رؤيا الملك.

القصـــــد: علّها تكون سبب لإثبات براءته.

4- الملك يطلب خروج يوسف من السّجن، ويوسف يرفض حتّى تظهر براءته

قال سيد قطب:" وهنا كذلك ينتقل السيّاق إلى المشهد التالي .تاركا فجوة بين المشهدين يكمل التّصوّر ما تمّ فيها من حركة. ويرفع السّتار مرّة أخرى على مجلس الملك. ويحذف السيّاق مانقله السّاقي من تأويل الرّؤيا، وما تحدّث به عن يوسف الذي أوّلها. وعن سجنه وأسبابه والحال التي هو فيها..كلّ أولئك يحذفه السيّاق من المشهد، لنسمع نتيجته من رغبة الملك في رؤية يوسف،

[1]- محمد الطاهر ابن عاشور ،تفسير التحرير والتنوير،م12، ص 286، 287 .

وأمره أن يأتوه به "[1]: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠ ﴾

قال محمد الطاهر ابن عاشور :" قال الملك :ائتوني به لما أبلغه السّاقي صورة التعبير. والخطاب للملأ ليرسلوا من يعينونه لجلبه. ولذلك فرع عليه﴿ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ ﴾ .فالتّقدير: فأرسلوا رسولا منهم. وضمير الغائب في قوله ﴿ بِهِۦ ﴾ وقولهُ﴿ جَآءَه﴾ عائدان إلى يوسف وضمير ﴿ قَال ﴾ المستتر كذلك.وقد أبى يوسف – عليه السّلام – الخروج من السّجن قبل أن تثبت براءته ممّا رمى به في بيت العزيز، لأنّ ذلك قد بلغ الملك لامحالة لئلا يكون تبريره في التعبير الموجب لإطلاقه من السّجن كالشّفيع فيه فيبقى حديث قرفه بما قرف به فاشيا في النّاس فيتسلّق به الحاسدون إلى انتقاص شأنه عند الملك يوما ما، فإنّ تبرئة العرض من التّهم الباطلة مقصد شرعي.وليكون حضوره لدى الملك مرموقا بعين لاتنظر إليه بشائبة نقص "[2]."ومرّة ثالثة في المشهد يحذف السيّاق جزئيات تفصيلية في تنفيذ الأمر وكنا نجد يوسف يرد على رسول الملك الذي لانعرف: إن كان هو السّاقي الذي جاءه أوّل مرّة.أو رسولا تنفيذيا مكلّفا بمثل هذا الشّأن."[3] من سياق هذه الآية الكريمة نستنتج بأنّ اللّه تعالى أخبر نبيّه الكريم–صلّى الله عليه وسلّم –بأنّ الملك طلب ممن ينفّذ أوامره أو رسوله الذي أرسله لتأويل رؤياه بإتيانه بيوسف؛ أي إخراجه من السّجن، لينظر في أمره ويتعرّف عليه،بعدما عرف منه تأويل رؤياه،وعليه تكون أركان السياق في هذه الآية الكريمة كالآتي :

المخاطِـــب: الملك.

[1]– سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12–18، ص1994 .

[2]– محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،م12، ص 288 .

[3]– المصدر السابق، ص1994 .

المخاطَـــب: حاشية الملك.

موضوع الخطاب: طلب الملك إخراج يوسف من السّجن وإحضاره إلى مجلسه.

القصـــــد: ربّما للتّعرّف على يوسف ومعرفة مدى درايته بعلم تأويل الرؤيا.

" نجد يوسف السّجين الذي طال عليه السّجن لايستعجل الخروج حتى تحقّق قضيّته، ويتبين الحقّ واضحا في موقفه،وتعلن براءته – على الأشهاد – من الوشايات والدّسائس والغمز في الظلام ...تبدو هذه الظاهرة الواضحة في موقف يوسف، ورسول الملك يجيئ إليه في سجنه يبلّغه رغبة الملك في أن يراه .. فلا يخف يوسف – عليه السّلام – لطلب الملك؛ ولا يتلهّف على مغادرة سجنه الظالم المظلم إلى رحاب الملك الذي يرغب في لقائه؛ ولا تستخفه الفرحة بالخروج من هذا الضّيق" .[1]

قال تعالى :﴿قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠﴾"وجعل السّؤال عن النّسوة اللاتي قطّعن أيديهن دون امرأة العزيز تسهيلا للكشف عن أمرها. لأنّ ذكرها مع مكانة زوجها من الملك ربّما يصرف الملك عن الكشف رعيا للعزيز، ولأنّ حديث المتّكأ شاع بين النّاس وأصبحت قضيّة يوسف – عليه السّلام – مشهورة بذلك اليوم، كما تقدّم عند **قوله تعالى:**﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥﴾ ، ولأنّ النّسوة كنّ شواهد على إقرار امرأة العزيز بأنّها راودت يوسف – عليه السّلام –عن نفسه. فلا جرم كان طلب الكشف عن أولئك النّسوة منتهى الحكمة في البحث وغاية الإيجاز في الخطاب. وجملة ﴿ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠﴾ من كلام يوسف – عليه السّلام – وهي تذييل وتعريض بأنّ الكشف المطلوب سينجلي عن براءته وظهور كيد الكائدات له ثقة

[1]– سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12– 18،ص1994 .

باللّه ربّه أنّه ناصره."[1] من خلال السياق في هذه الآية الكريمة نستنبط بأنّ اللّه تعالى أخبر نبيّه الكريم-صلّى الله عليه وسلّم - إنّ يوسف رغم المحنة التي مرّ بها في سجنه؛إلاّ أن إثبات براءته كان له أولى من خروجه منتقص العرض، فبعد أن طلب الملك من حاشيته إحضار يوسف من سجنه إلى مجلسه، وجاء رسول الملك بهذا الأمر ليوسف؛ رفض يوسف ذلك دون أن يعترفوا ويقرّوا ببراءته، ولن يتأتى ذلك إلاّ بشهادة النّسوة الآتي قطّعن أيديهن؛ فلذلك طلب يوسف من الملك مساءلتهمن عن يوم الضيافة عند امرأة العزيز، وعليه تكون أركان السيّاق في هذا المقطع القرآني كالآتي :

المخاطِـــب: يوسف.

المخاطَـــب: رسول الملك.

موضوع الخطاب: طلب يوسف من الملك مساءلة النسوة عن موقفهن اتجاهه .

القصـــــد :الكشف عن دليل براءته من مراودة النساء.

قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ قال ابن كثير: وقوله تعالى:﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ﴾ إخبار عن الملك حين جمع النّسوة اللاتي قطّعن أيديهن عند امرأة العزيز، فقال مخاطبا لهنّ كلّهنّ – وهو يريد امرأة وزيره، وهو العزيز: ﴿ مَا خَطْبُكُنَّ ﴾ أي: شأنكن وخبركن ﴿ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن

[1]– محمد الطاهر ابن عاشور،تفسير التحرير والتنوير،م12، ص 289 .

نَّفۡسِهِۦۚ ﴾ يعني: يوم الضّيافة ؟ ﴿ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ ﴾أي قالت النّسوة جوابا للملك :حاشا للّه أن يكون يوسف متّهما. واللّه ماعلمنا عليه من سوء."[1] قال محمد الطاهر ابن عاشور: " ونفي علمهن ذلك كناية عن نفي دعوتهن إيّاه إلى السّوء ونفي دعوته إيّاهنّ إليه لأنّ ذلك لو وقع لكان معلوما عندهن ثمّ إنّهنّ لم يزدن في الشّهادة على ما يتعلّق بسؤال الملك فلم يتعرّضن لإقرار امرأة العزيزفي مجلسهن بأنّها راودته عن نفسه فاستعصم، خشية منها، أو مودّة لها، فاقتصرن على جواب ماسئلن عنه. وهذا يدل على كلام محذوف وهو أنّ امرأة العزيز كانت من جملة النّسوة اللاتي احضرهن الملك. ولم يشملها قول يوسف – عليه السّلام –"[2]سياق هذه الآية الكريمة يفيد بأنّ اللّه تعالى أخبر نبيّه الكريم–صلّى الله عليه وسلّم –إنّ الملك سأل امرأة العزيزوضيفاتها عن شأنهن مع يوسف يوم الضيّافة فأجبنه على أنهن مارأين منه منكرا ولا سوءا، بل الأكثر من ذلك نزّهنه عن كل مايشين الخلق، وفي هذا براءة صريحة ليوسف من حادثة المراودة، وعليه تكون أركان السياق في هذا النّص القرآني كالآتي:

المخاطِـــب: ملك مصر.

المخاطَـــب: امرأة العزيز وضيفاتها.

موضوع الخطاب: مساءلة النّسوة عن شأنهن مع يوسف يوم الضيافة.

القصـــــد: معرفة حقيقة المراودة مع يوسف.

﴿ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ ﴾لأنّها لم تقطّع يدها معهن،ولكن شملها كلام الملك إذ قال﴿ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ﴾ فإنّ المراودة إنّما وقعت من امرأة العزيزدون النّسوة اللاّتي أعدّت لهن متّكئا، ففي الكلام إيجاز وحذف"[3] قال صاحب تفسير في ظلال القرآن :"

[1]–إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم ،ص986.

[2]- محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،م12، 291،290.

[3]– محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،م12،ص 290، 291 .

﴿ قَالَت ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

وهذا الإعتراف وما بعده يصوّره السيّاق هنا بألفاظ موحية،تشي بما وراءها من انفعلات ومشاعر.

كما يشي السّتار الرّقيق بما وراءه في ترفّع وتجمّل في التّعبير ﴿ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾ شهادة كاملة ببراءته ونظافته وصدقه.

لاتبالي المرأة ماوراءها ممّا يلمّ بها هي ويلحق بأردانها.. فهل هو الحق وحده الذي يدفعها لهذا الإقرار الصّريح في حضرة الملك والملأ ؟"[1]

إذا في سياق هذا النص القرآني يخبراللّه تعالى نبيّه الكريم-صلّى الله عليه وسلّم - عن استمرار الحوار بين الملك وامرأة العزيز وضيفاتها، من أجل معرفة صدق يوسف من كذبه في قضية مراودتهلامرأة العزيز،تعترف امرأة العزيز بمراودتها ليوسف وتبرءه -عليه السّلام- ممّا رمته به، وعليه تكون أركان السياقفي هذا المقطع القرآني كالآتي :

المخاطِـــب: امرأة العزيز.

المخاطَـــب: الملك وجميع الملأ.

موضوع الخطاب: اعتراف امرأة العزيز بمراودتها يوسف عن نفسه.

القصـــــد: تبرئة يوسف ممّا رمته به وقذفته.

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12- 18،ص1995.

" يشي السيّاق بحافز آخر،هوحرّصها على أن يحترهما الرّجل المؤمن الذي لم يعبأ بفتنتها الجسدية . أن يحترمها تقديرا لإيمانها ولصدقها وأمانتها في حقّه عند غيبته " [2] ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢ ﴾ قال صاحب تفسير التحريروالتنوير:" ظاهر نظم الكلام أنّ الجملة من قول امرأة العزيز، وعلى ذلك حمله الأقل من المفسّرين، وعزاه ابن عطية إلى فرقة من التّأويل، ونسب إلى الجبائي، واختاره الماوردي، وهو في موقع العلة لما تضمنته جملة[1]

﴿ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١ ﴾ وماعطف عليها من إقراربراءة يوسف – عليه السّلام – بماكانت رمته به، فالإشارة بذلك إلى الإقرار المستفاد من جملة ﴿ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ ﴾أي ذلك الإقرار ليعلم يوسف – عليه السّلام – أي لم أخنه."[2] ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ " وهكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة،وابن أبي الهذيل، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدّي. والقول الأول اقوى وأظهر؛ لأنّ سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك، ولم يكن يوسف، عليه السّلام، عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك."[3] إنّ السياق في هذه الآية الكريمة يشير أنّ اللّه تعالى أخبر نبيّه الكريم–صلّى الله عليه وسلّم – بأنّ الحوار الذي جرى بين الملك والنسوة أمام الملأكان في غياب يوسف ليتبين الملك بنفسه من قضية المراودة وبالتالي يتأكّد من اتهام يوسف أو براءته.

[1]– سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12– 18،ص 1995 .

[2]– محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،م12، ص292 .

[3]– إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 986 .

ثانيا: خروج يوسف من السّجن ورجوع إخوته إليه بصحبة أخيه .

1- خروجه من السّجن وطلبه أن يكون على خزائن الأرض في مصر وحصول ذلك له.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٧﴾ قال محمد الطاهر ابن عاشور: السين والتاء في ﴿أَسۡتَخۡلِصۡهُ﴾ للمبالغة، مثلها في استجاب واستأجر والمعنى أجعله خالصا لنفسي، أي خالصا بي لايشاركني فيه أحد.وهذا كناية عن شدّة اتصاله به والعمل معه . وقد دلّ الملك على استحقاق يوسف تقريبه منه ماظهر من حكمته وعلمه، وصبره على تحمّل المشاق، وحسن خلقه، ونزاهته، فكل ذلك أوجب اصطفاءه...وجملة ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ مفرّعة على جملة محذوفة دلّ عليها ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ﴾ والتقدير: فأتوه به. أي بيوسف – عليه السّلام – فحضر لديه وكلّمه فلما كلّمه. والضمير المنصوب في ﴿كَلَّمَهُۥ﴾ عائد إلى الملك "[1].إنّ السياق في هذا المقطع القرآني يبين لنا أنّ اللّه تعالى اخبر نبيّه الكريم–صلّى الله عليه وسلّم – بأنّ النّسوة لما اعترفن ببراءة يوسف أمام الملأ قرّر الملك إخراجه من السجن،فهاهو يوسف يصل إلى مجلس الملك ويكلمه؛ فيكشف عن انسان كامل الحسن والأخلاق الفاضلة، ويفيض حديثه بالحكمة المعطّرة بعطر النّبوّة فيزداد قربا من قلب الملك. فيقرّر أن يجعله من خاصّته؛ فطلب منه

[1]– محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،م12،ص 292 .

يوسف أن يجعله على خزائن الأرض؛ حتّى يشرف بنفسه على اقتصاد البلاد أمام ماينتظرهم من قحط وجدب؛ فكان له ذلك، وعليه تكون أركان السياق في هذا النص القرآني كالآتي :

المخاطِـــب: الملك.

المخاطَـــب: يوسف.

موضوع الخطاب: تقريب يوسف من مجلسه.

القصـــــد: الاستئثار بيوسف.

" فالمتكلم هو يوسف – عليه السّلام –. والمقصود من جملة ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ ﴾ إفادة أنّ يوسف – عليه السّلام – كلم الملك كلاما أعجب الملك بما فيه من حكمة وأدب. ولذلك فجملة ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ جواب ﴿ لَمَّا ﴾ . والقائل هو الملك لامحالة ...وترتيب هذا القول على تكليمه إيّاه دالّ على أنّ يوسف – عليه السّلام – كلّم الملك كلام حكيم أديب فلما رأى حسن منطقه وبلاغة قوله وآصالة رأيه رآه أهلا لثقته وتقريبه منه ... وجملة ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ﴾ حكاية جوابه لكلام الملك ولذلك فصّلت على طريقة المحاورات."[1]لكنّ السياق في هذه الآية الكريمة يصوّر لنابأنّ اللّه تعالى أخبر نبيّه الكريم–صلّى الله عليه وسلّم – بأنّ يوسف طلب من الملك بأن يجعله على خزائن الأرض في مصر؛ ليتمكّن من إدارة اقتصادها بكل عدل وحكمة أمام سنين القحط والجفاف المنتظرة،وعليه تكون أركان السياق في هذه الآية الكريمة كالآتي :

المخاطِـــب: يوسف.

[1]– محمد الطاهر ابن عاشور،تفسير التحرير والتنوير، ج13، ص 7، 8 .

المخاطَـــب: الملك.

موضوع الخطاب: طلب يوسف من الملك توليته على خزائن مصر.

القصـــــد: " ليحفظ الأموال ويعدل في توزيعها ويرفق بالأمّة في جمعها وإبلاغها لمحالّها "[1].

2-لقاؤه مع إخوته حيث عرفهم دون أن يعرفوه وطلب أخيه منهم وردّ الثّمن دون علمهم.

قال تعالى: ﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٨ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ٥٩ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ٦٠ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ٦١ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٦٢﴾

قال سيد قطب: " لقد اجتاح الجدب والمجاعة أرض كنعان وما حولها. فاتجه إخوة يوسف – فيمن يتجهون– إلى مصر. وقد تسامع النّاس بما فيها من فائض الغلة منذ السنوات السّمان. وها نحن أولاء نشهدهم يدخلون على يوسف، وهم لايعلمون. إنّه يعرفهم فهم هم لم يتغيّروا كثيرا. أمّا يوسف فإنّ خيالهم لا يتصوّر قط أنّه هو ذاك! وأين الغلام العبراني الصّغير الذي ألقوه في الجب منذ عشرين عاما أو تزيد من عزيز مصر شبه المتوّج في سنه وزيّه وحرسه ومهابته وخدمه وحشمه وهيله وهيلمانه؟ ولم يكشف لهم يوسف عن نفسه. فلابد من دروس يتلقونها: ﴿ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٨ ﴾ ولكنا ندرك من السياق أنّه أنزلهم منزلا طيّبا، ثم أخذ في إعداد الدرس الأول ﴿ لَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ ﴾ فنفهم من

[1]- المصدر نفسه، ص 8 .

هذا أنه تركهم يأنسون إليه، واستدرجهم حتى ذكروا لهم من هم على وجه التفصيل، وأن لهم اصغر من أبيهم لم يحضر معهم لأن اباه يحبّه ولا يطيق فراقه. فلما جهّزهم بحاجات الرّحلة قال لهم: إنّه ير يد أن يرى أخاهم هذا.

﴿ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ ﴾ ..وقد رأيتم أني أوفي الكيل للمشترين.فسأوفيكم نصيبكم حين يجيئ معكم، ورأيتم أنني أكرم النّزلاء فلا خوف عليه بل سيلقى مني الإكرام المعهود. ﴿ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ ... "[1]في سياق هذا النص القرآنييخبرالله تعالى نبيّه الكريم–صلّى الله عليه وسلّم – عن مشهد قدوم إخوة يوسف إلى مصر للاكتيال بعدما مسّهم الجدب والفقر، وعن الحوار الذي دار بين يوسف وإخوته الذين أنكروه بعد طول غياب قارب عشرين سنة أو أكثر؛ حيث أحسن ضيافتهم وأكرمهم، يبدوا وكأنّه تجاذب معهم أطراف الحديث حتّى عرف حالهم وأنّ لهم أخ هو الأصغر فيهم وأنّ اباهم لايكاد يصبر على فراقه، حتّى لا يأخذهم الشك أو الريب في معرفته بأنّ لهم أخ هوالأصغر فيما كان يخمن ويخطّط له –عليه السّلام–فيما بعد،وعليه تكون أركان السياق في هذا النص القرآني كالآتي :

المخاطِـــب: يوسف.

المخاطَـــب: إخوته.

موضوع الخطاب: طلب يوسف من إخوته اصطحاب أخوهم الأصغر أثناء عودتهم إلى مصر.

القصـــــد: استبقاء أخاه الأصغر لديه.

" ﴿ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ ولفظ (نراود) يصور الجهد الذي يعلمون أنّهم باذلوه "[2]..لكن في سياق هذه الآية الكريمة يخبراللّه تعالى نبيّه الكريم–صلّى الله عليه وسلّم – إنّ

[1]– سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12–18،ص 2015 .

[2]– سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12–18،ص 2015 .

إخوة يوسف وعدوه بأنّهم سيبذلون جهدهم في اقناع أبيهم؛ ليوافق على اصطحابهم أخيهم الأصغرإلى مصر عندعودتهم لها، وعليه تكون أركان السياق في هذه الآية الكريمة كالآتي :

المخاطِـــب: إخوة يوسف.

المخاطَـــب يوسف عليه السّلام.

موضوع الخطاب: وعدوه باصطحاب أخيهم الأصغر إلى مصر.

القصـــــد: ليكسبوا ثقته وينالهم إحسانه ويزدادون كيل بعير.

" أمّا يوسف فقد أمر غلمانه أن يدسّوا البضاعة التي حضر بها إخوته ليستبدلوا بها القمح والعلف. وقد تكون خليطا من نقد ومن غلاّت صحراوية أخرى من غلاّت الشّجر الصّحراوي، ومن الجلود والشّعر وسواها مما كان يستخدم في التّبادل في الأسواق ..أمر غلمانه بدسّها في رحالهم – والرحل متاع المسافر – لعلهم يعرفون حين يرجعون أنّها بضاعتهم التي جاءوا بها:

﴿ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[1]".أمّافي هذه الآية الكريمة فيبين السياق أنّ اللّه تعالى أخبر نبيّه الكريم–صلّى الله عليه وسلّم – بأنّ يوسف أمرغلمانه برد بضاعة إخوته، من جلود وشعر وغيرها من غلات الشّجر الصّحراوي التي أرادوا مقايضتها في مصر بالقمح والعلف، حتّى يعرفوا لدى عودتهم إلى ديّارهم أنّها ردّت عليهم، وبالتّالي ستحفّزهم على العودة إليه – أي إلى يوسف، باصطحابهم لأخيهم بنيامين،وعليه تكون أركان السياق في هذه الآية الكريمة كالآتي :

المخاطِـــب: يوسف.

المخاطَـــب: غلمانه.

موضوع الخطاب: طلب يوسف من غلمانه ردّ بضاعة إخوته في رحالهم.

[1]– سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12-18،ص 2016 .

القصـــــد: ليكسب ثقتهم ويحفّزهم على اصطحاب أخاهم الأصغر في المرة القادمة.

3-إخوة يوسف يقنعون أباهم أن يرسل معهم أخاهم بنيامين إلى مصر.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٦٣ قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾.قال صاحب تفسير التحرير والتنوير: " تقدير الكلام: منعنا من أن نطلب الكيل إلاّ إذا حضر معنا أخونا . فتعيّن أنّهم حكوا القصّة لأبيهم مفصّلة واختصرها القرآن لظهور المراد. والمعنى: إن أرسلته معنا نرحل للاكتيال ونطلبه. وإطلاق المنع على هذا المعنى مجاز، لأنّهم أنذروا بالحرمان فصار طلبهم ممنوعا منهم لأن طلبهم عبث ."[1] السياق في هذا النّص القرآني يفيد بأنّ اللّه تعالى أخبر نبيّه الكريم-صلّى الله عليه وسلّم - بأنّ العزيز منعهم من الاكتيال، وأنّ إخوته لمّا عادوا إلى ديّارهم ووجدوا بضاعتهم ردّت إليهم، راودوا أباهم ليأذن لهم في اصطحاب أخيهم بنيامين معهم إلى مصر تلبية لطلب يوسف،وعليه تكون أركان السياق في هذا المقطع القرآني كالآتي:

المخاطِـــب: إخوة يوسف.

المخاطَـــب: أباهم يعقوب.

موضوع الخطاب: مراودته لاصطحاب أخيم الأصغر عند عودتهم للاكتيال من مصر.

القصـــــد: تلبية طلب أمين خزائن مصر وازدياد كيل بعير.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ

[1]- محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج13، ص 15، 16 .

يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ قال ابن كثير: " يقول تعالى: ولما فتح إخوة يوسف متاعهم، وجدوا بضاعتهم ردّت إليهم، وهي التي كان أمر يوسف فتيانه بوضعها في رحالهم: فلما وجدوها في متاعهم ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِي ۖ ﴾ ؟ أي: ماذا نريد؟ ﴿ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ ﴾ كما قال قتادة . مانبغي وراء هذا؟ إنّ بضاعتنا ردّت إلينا وقد أوفى لنا الكيل ﴿ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ﴾ أي: إذا أرسلت أخانا معنا نأتي بالميرة إلى أهلنا، ﴿ وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ﴾ وذلك أنّ يوسف، عليه السّلام، كان يعطي كل رجل حمل بعير.وقال مجاهد: حمل حمار وقد يسمى في بعض اللغات بعيرا،كذا قال. ﴿ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ : هذا من تمام الكلام وتحسينه، أي: إنّ هذا يسيرفي مقابلة أخذ أخيهم مايعدل هذا"[1].

4- وصـيّة يعــقوب لأولاده

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ قال سيد قطب :"ونقف هنا أمام قول يعقوب- عليه السّلام - ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ ﴾ وواضح من سياق القول أنّه يعني هنا حكم اللّه القدري القهري الذي لامفرّ منه ولا فكاك. وقضاؤه الإلهي الذي يجري به قدره فلا يملك الناس فيه لأنفسهم شيئا. وهذا هو الإيمان بالقدر

[1]-إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم،ص 988 .

خيره وشرّه "[1]، السياق في هذه الآية الكريمة يفيد بأنّ اللّه تعالى أخبر نبيّه الكريم-صلّى الله عليه وسلّم -بأنّ يعقوب قد استسلم لطلب أبنائه،لكنه أراد أن يسدي إليهم بوصية تخفي في طيّاتها الإيمان بالقدر خيره وشرّه والخوف على أبنائه من كل مكروه، وعليه تكون أركان السياق في هذه الآية الكريمة كالآتي :

المخاطِـــب: يعقوب.

المخاطَـــب: أبنـــاءه.

موضوع الخطاب: وصيّة يعقوب لأبنائه .

القصـــــد: مخافة اتهامهم بالجوسسة أو اللصوصية فيصابوا بأذى.

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦٨ ﴾

قال محمد الطاهرابن عاشور: " والمعنى أنّ اللّه أمر يعقوب – عليه السّلام – بأخذ أسباب الاحتياط والنّصيحة مع علمه بأنّ ذلك لايغني عنهم من اللّه من شئ قدّره لهم. فإنّ مراد اللّه تعالى خفيّ عن النّاس. وقد أمر بسلوك الأسباب المعتادة، وعلّم يعقوب – عليه السّلام – ذلك، ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون تطلّب الأمرين فيهملون أحدهما. فمنهم من يهمل معرفة أنّ الأسباب الظاهرية لاتدفع أمرا قدّره اللّه وعلم أنّه واقع، ومنهم من يهمل الأسباب وهو لا يعلم أنّ اللّه أراد في بعض الأحوال عدم تأثيرها "[2].في سياق هذا المقطع القرآني يخبراللّه تعالى نبيّه الكريم-صلّى الله عليه وسلّم -بأنّ الأخذ بالأسباب مشروع ولا ينافي الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشرّه؛ فلذلك

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12-18، ص 2017 .

[2]- محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج13، ص 25 .

أوصى يعقوب أبناءه وصيّة لينفّذوهاعند دخولهم مدينة مصر، وبالفعل نفّذ أبناؤه وصيته ودخلوا المدينة متفرّقين، وعليه تكون أركان السياق في هذه الآية الكريمة كالآتي :

المخاطِـــب: يعقوب.

المخاطَـــب: أبنـــاءه.

موضوع الخطاب: طلب يعقوب من أبنائه الدخول إلى مصر متفرقين أخذا بالأسباب وقاية من الحسد.

القصـــــد: وقايتهم من العين لتمتعهم بالجمال الأخّاذ ولكثرة عددهم.

5- رجوع إخوة يوسف إليه بصحبة أخيه الذي طلبه والمكيدة التي دبّرها لاستقباله لديه

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَآ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾قال سيد قطب :" ونجد السياق هنا يعجّل بضم يوسف لأخيه في المأوى، وإطلاعه على أنّه أخوه، ودعوته لأن يترك من خاطره ذكرى مافعله إخوته به من قبل، وهي ذكرى لابد كان يبتئس لها الصّغير كلما علمها من البيت الذي كان يعيش فيه. فما كان يمكن أن تكون مكتومة عنه في وسطه في أرض كنعان.يعجّل السياق بهذا، بينما الطبيعي والمفهوم أن هذا لم يحدث فور دخولهم على يوسف. ولكن بعد أن اختلى يوسف بأخيه. ولكن هذا ولاشك كان أوّل خاطر ساور يوسف عند دخولهم عليه، وعند رؤيته لأخيه، بعد الفراق الطويل. ومن ثمّ جعله السياق أوّل عمل لأنه كان أول خاطر. وهذه من دقائق التعبير في هذا الكتاب العجيب!ويطوي السياق كذلك فترة الضيافة، ومادار بين يوسف وإخوته، ليعرض مشهد الرحيل الأخير. فنطّلع على تدبير يوسف ليحتفظ بأخيه، ريثما يتلقّى إخوته درسا أو دروسا ضرورية لهم، وضرورية للناس في كل زمان ومكان."[1] فالسياق في هذه الآية الكريمةيفيد بأنّ اللّه تعالى أخبر نبيّه الكريم-صلّى الله عليه وسلّم -بمشهد دخول إخوة يوسف عليه، وكيف دبّرحيلة احتفاظه بأخيه

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12-18،ص 2018 .

بنيامين، بعد أن اختلى به وأبلغه بأنّه هو أخوه يوسف؛ حتّى يستأنس إليه، وعليه تكون أركان السياق في هذه الآية الكريمة هي :

المخاطِـــب: يوسف.

المخاطَـــب: أخوه بنيامين.

موضوع الخطاب: اختلاء يوسف بأخيه وإبلاغه بأنّه هو يوسف.

القصـــــد: لإبقائه عنده.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

قال سيد قطب :"وهو مشهد مثير حافل بالحركات والانفعالات والمفاجآت...فمن وراء السّتار يدسّ يوسف كأس الملك- وهي عادة من الذّهب ... يدسّها في الرّحل المخصّص لأخيه، تنفيذا لتدبير خاص ألهمه اللّه له وسنعلمه بعد قليل. ثمّ ينادي مناد بصوت مرتفع، في صيغة إعلان عام، وهم منصرفون: ﴿ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ ويرتاع إخوة يوسف لهذا النّداء الذي يتهمهم بالسّرقة – وهم أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم – فيعودون أدراجهم يتبيّنون الأمر المريب﴿ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾قال الغلمان الذين يتولّون تجهيز الرّحال، أو الحرّاس ومنهم هذا الذي أذاع بالإعلان : ﴿ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ ﴾ وأعلن المؤذّن أنّ هناك مكافأة لمن يحضره متطوّعا.وهي مكافأة ثمينة في هذه الظّروف: ﴿ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾ من القمح العزيز ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ ..أي كفيل .ولكن القوم مستيقنون من براءتهم، فهم لم يسرقوا، وماجاءوا ليسرقوا وليجترحوا هذا الفساد الذي يخلخل الثّقة والعلاقات في المجتمعات، فهم يقسمون وهم واثقين:﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فقد علمتم من حالنا ومظهرنا ونسبنا أنّنا لانجترح هذا .. ﴿ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ أصلا فما يقع منّا هذا الفعل الشّنيع .قال الغلمان أوالحراس ﴿ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ وهنا ينكشف طرف التّدبير الذي ألهمه اللّه يوسف . فقد كان المتبع في دين يعقوب: أن يؤخذ السّارق رهينة أو أسيرا أو رقيقا في مقابل ما يسرق. ولما كان إخوة يوسف موقنين بالبراءة. فقد ارتضوا تحكيم شريعتهم فيمن يظهر أنّه سارق. ذلك ليتم تدبير اللّه ليوسف وأخيه:﴿ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ وهذه شريعتنا نحكمها في السّارق،والسارق من الظّالمين.كل هذا الحوار كان على منظر ومسمع من يوسف.

فأمر بالتّفتيش. وأرشدته حصافته إلى أن يبدأ برحالهم قبل رحل أخيه، كي لايثير شبهة في نتيجة التفتيش: ﴿فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ ويدعنا السياق نتصور الدّهشة بالمفاجأة العنيفة لأبناء يعقوب الموقنين ببراءتهم، الحالفين، المتحدين،"[1] قال محمد الطاهر ابن عاشور: وجملة ﴿مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ بيان للكيد باعتبار جميع مافيه من وضع السّقاية ومن حكم إخوته على أنفسهم بما يلائم مرغوب يوسف – عليه السّلام– من إبقاء أخيه عنده ولولا ذلك لماكانت شريعة القبط تخوّله ذلك، فقد قيل: إنّ شرعهم في جزاء السّارق أن يؤخذ منه الشّيئ ويضرب ويغرّم ضعفي المسروق أو ضعفي قيمته ... أي لولا حيلة وضع الصّواع في متاع أخيه. ولعل ذلك كان حكما شائعا في كثير من الأمم...أي أنّ ملك مصر كان عادلا فلا يأخذ أحد في بلاده بغير حق... وجملة﴿ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ تذييل لقصّة أخذ يوسف – عليه السّلام – أخاه لأنّ فيها رفع درجة يوسف – عليه السّلام– في الحال بالتّدبير الحكيم من وقت مناجاته أخاه إلى وقت استخراج السّقاية من رحله. ورفع درجة أخيه في الحال بإلحاقه ليوسف – عليه السّلام – في العيش الرّفيه والكمال بتلقي الحكمة من فيه. ورفع درجات إخوته وأبيه في الاستقبال بسبب رفع درجة يوسف – عليه السّلام – وحنوّه عليهم ...وجملة﴿ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦ ﴾ ...فيها شاهدلتفاوت النّاس في العلم المؤذن بأنّ علم الذي خلق لهم العلم لاينحصر مداه. وأنّه فوق كل نهاية من علم النّاس."[2]وقال إخوة يوسف لما رأوا الصّواع قد أخرج من متاع بنيامي﴿ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ يتنصّلون إلى العزيز من التّشبّه به ويذكرون أنّ هذا فعل كما فعل أخ له من قبل، يعنون به يوسف – عليه السّلام – قال سعيد بن جبير. عن قتادة: كان يوسف قد سرق صنما لجدّه، أبو أمّه

[1]– سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12-18،ص 2019، 2020 .

[2]– محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،ج13،ص32،33 .

فكسّره... ﴿ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧ ﴾ أي: تذكرون . قال هذا في نفسه. ولم يبده لهم. وهذا من باب الإضمار قبل الذّكر." [1] ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨ ﴾ " نادوا بوصف العزيز إما لأن كلّ رئيس ولاية مهمة يدعى بما يراد في العزيز فيكون يوسف – عليه السّلام – عزيزا... وإمّا لأن يوسف ضمّت إليه ولاية العزيز الذي اشتراه فجمع التّصرّفات وراجعوه في أخذ أخيهم.ووصفوا أباهم بثلاث صفات تقتضي الترقيق عليه. وهي: حنان الأبوّة، وصفة الشّيخوخة. واستحقاقه جبر خاطره لأنّه كبير قومه أو لأنّه انتهى في الكبر إلى أقصاه، فالأوصاف مسوقة للحثّ على سراح الابن لالأصل الفائدة لأنّهم قد كانوا أخبروا يوسف – عليهم السّلام – بخبر أبيهم."[2] ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩ ﴾ قال سيد قطب:"ولم يقل معاذ اللّه أن نأخذ بريئا بجريرة سارق.لأنّه كان يعلم أنّ أخاه ليس بسارق. فعبّر أدقّ تعبير يحكيه السيّاق هنا باللغة العربية بدقّة : ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ﴾ وهي الحقيقة الواقعة دون زيادة في اللّفظ تحقّق الإتهام أو تنفيه ﴿ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩ ﴾ ...ومانريد أن نكون ظالمين..وكانت هي الكلمة الأخيرة في الموقف. وعرفوا أن لاجدوى بعدها من الرّجاء، فانسحبوا يفكّرون في موقفهم المحرج، أمام أبيهم حين يرجعون. "[3]في هذا المشهد القرآني الكريم يفيد السياق بأنّاللّه تعالى أخبر نبيّه الكريم–صلّى الله عليه وسلّم –؛ إنّإخوة يوسف قد عادوا إلى مصر للاكتيال بعدما مسّهم القحط والجدب ومعهم أخوهم الأصغر (بنيامين)، ويلهم اللّه يوسف فيدبّر حيلة لإبقائه عنده دون علم إخوته؛حيث أمر

[1]– إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم،ص 990 .

[2]– المصدر السّابق، ج13، ص36 .

[3]– سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12-18، ص 2022، 2023 .

أحد غلمانه بأن يدس صواع الملك في رحل أخيه بنيامين،وبعد حزم أمتعتهم ينادي أحد عمّال يوسف بأنّهم سارقون؛لكنّ إخوة يوسف تفاجؤوا بهذا الخبر! وقالوا ماجئنا لنسرق أو نفسد في الأرض!!،ثمّ سألوا العامل ماذا تفقدون قال نفقد صواع الملك،ثمّ سألهم عن معاقبة السارق في شريعتهم فأجابوه بأن يؤخذ مدة عام أو أكثر كعبد يقوم بخدمة سيده أي الذي سرقه،وبدأ عمّال يوسف يفتّشون عن صواع الملك لكن يوسف أوصى عمّاله بأن يبدؤوا بأوعيتهم قبل وعاء أخيه(بنيامين) لكي لا يراودهم شك أو ريب،وبدأت عملية التفتيش بأوعيتهم وانتهت بوعاء أخيه، حيث تمّ استخراجها منه فقال إخوة يوسف إن يسرق فقد سرق أخوه من قبل يقصدون يوسف؛لكنّ يوسف أسرّهاولم يبدها لهم، حتّى لا يكتشفوا حقيقته، وواصلوا إلحاحهم على يوسف بأنّ أباه شيخا كبيرا فليأخذ أحدهم مكانه؛لكنّ يوسف أصرّ على أن يطبّق شريعتهم في السارق وبالتالي لن يأخذ أحدا مكانه،فحاولوه وراودوه في ذلك لكنّه أبى، وعليه تكون أركان السياق في هذا النّص القرآني كالآتي:

المخاطِـــب: فتية يوسف عليه السّلام.

المخاطَـــب: إخوة يوسف.

موضوع الخطاب: اتهام إخوة يوسف بسرقة صواع الملك.

القصـــــد: إبقاء يوسف لأخيه بنيامين معه في قصر الملك.

ثالثا: معاتبة إخوة يوسف بعضهم بعضا وإعطاؤهم قميصه ليشمّه أبوه .

1-معاتبة بعضهم بعضا ورجوع إخوة يوسف إلى أبيهم واعتذارهم عمّا أصيبوا به.

قال تعالى : ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمُونِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ قَ

سَرَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ قال ابن كثير: " يخبر تعالى عن إخوة يوسف: أنّهم لما يئسوا من تخليص أخيهم بنيامين. الذي قد التزموا لأبيهم بردّه إليه، وعاهدوه على ذلك، فامتنع عليهم ذلك﴿ خَلَصُواْ ﴾أي: انفردوا عن النّاس﴿نَجِيًّا ۖ﴾يتناجون فيما بينهم﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ ﴾وهو روبيل، وقيل: يهوذا، وهو الذي أشارعليهم بإلقائه في البئرعندما همّوا بقتله، قال لهم ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لتردنّه إليه، فقد رأيتم كيف تعذّر عليكم ذلك مع ماتقدّم لكم من إضاعة يوسف عنه، ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ ﴾أي: لن أفارق البلدة،﴿ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِى ﴾في الرّجوع إليه راضيا عنّي، ﴿ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى﴾ ، قيل: بالسّيف. وقيل :بأن يمكنني من أخذ أخي، ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ ثم أمرهم أن يخبروا أباهم ،بصورة ماوقع، حتّى يكون عذرا لهم عنده ويتنصّلوا إليه، ويبرؤوا ممّا وقع بقولهم، وقوله﴿ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ قال عكرمة وقتادة: ماكنا نعلم أنّ ابنك سرق، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم:ماعلمنا في الغيب أنّه يسرق له شيئا،إنّما سألنا ماجزاء السّارق ؟

﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾قيل: المراد مصر. قال قتادة، وقيل: غيرها،﴿ وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾أي: التي رافقناها. عن صدقنا وامانتنا وحفظنا وحراستنا ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ فيما أخبرنا به، من أنّه سرق وأخذوه بسرقته ."[1]

[1]- إسماعيل بن عمر بن كثير،تفسير القرآن العظيم، ص 990 ،991 .

في سياق هذا النّص القرآني يخبر الله تعالى نبيّه الكريم-صلّى الله عليه وسلّم- إنّ إخوة يوسف لمّا استيئسوا من العودة بأخيهم بنيامين إلى الديّار بقي أخوهم الأكبر هناك، بعدما ذكّر إخوته بالعهد الذي أخذه عنهم أبوهم بأن لا يفرّطوا في أخيهم ، وذكّرهم بتفريطهم من قبل في يوسف؛ فلذلك قرّر أن لن يغادر مصر حتّى يرجع بأخيه بنيامين إلى الديّار وأمرهم أن يخبروا أباهم عند عودتهم إليه بأنّ ابنه (بنيامين)سرق، وأنّهم لم يشهدوا بهذا إلاّ بعد علمهم .فلمّا عادوا إلى ديّارهم أخبروا والدهم بذلك حتّى طلبوا منه أن يتاكّد بنفسه إن شاء فيذهب إلى مصر ويتقصّى هنالك الأمر،وعليه تكون أركان السياق في هذا المقطع القرآني كالآتي:

المخاطِـــب: أخو يوسف الأكبــر(روبيل)[1].

المخاطَـــب: باقي أخوة يوسف.

موضوع الخطاب: تذكير إخوته بالعهد الذي أخذوه على أبيهم من أجل اصطحاب أخوهم بنيامين.

القصـــــد: الشعور بالذنب في التفريط ببنيامين.

قال سيد قطب:" ويطوي السياق الطريق بهم، حتّى يقفهم في مشهد أمام أبيهم المفجوع، وقد أفضوا إليه بالنّبأ الفضيع. فلا نسمع إلاّ ردّه قصيرا سريعا، شجيا وجيعا. ولكن وراءه أملا لم ينقطع في اللّه أن يردّ عليه ولديه، أو أولاده الثّلاثة بما فيهم كبيرهم الذي أقسم ألاّ يبرح حتّى يحكم اللّه له. وإنّه لأمل عجيب في ذلك القلب الوجيع : ﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣ ﴾ ﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞ ﴾ ..كلمته ذاتها يوم فقد يوسف. ولكنّه في هذه المرّة يضيف إليها هذا الأمل أن يردّ اللّه عليه يوسف وأخاه فيرد ابنه الآخر المتخلّف هناك .. ﴿ إِنَّهُۥ

[1]-عبد الله بن على بصفر، عبر ودلالات من سورة يوسف،دار نور المكتبات،جدة السعودية،ط1، 1426هـ-2005م ،ص 50.

﴿هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾ ..الذي يعلم حاله، ويعلم ماوراء هذه الأحداث والامتحانات، ويأتي بكل أمر في وقته المناسب، عندما تتحقّق حكمته في ترتيب الأسباب والنتائج

2- عدم تصديق يعقوب أبناءه وإصابته بالعمى لشدّة حزنه ثمّ التجاؤه إلى الله.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾

وهي صورة مؤثّرة للوالد المفجوع. يحسّ أنّه منفرد بهمّه، وحيد بمصابه،لاتشاركه هذه القلوب التي حوله ولا تجاوبه، فينفرد في معزل، يندب فجيعته في ولده الحبيب. يوسف.الذي لم ينسه، ولم تهوّن من مصيبته السّنون والذي تذكّره به نكبته الجديدة في أخيه الأصغر فتغلبه على صبره الجميل."[1] في سياق هذا النص القرآني يخبرالله تعالى نبيه الكريم-صلّى الله عليه وسلّم-بعودة إخوة يوسف إلى ديّارهم مكسوري الجناح، كيف يواجهون أباهم الذي أخذ عنهم موثقا وعهدا أن يحافظوا على أخيهم ولا يفرّطوا فيه؟،وقد فرّطوا في يوسف من قبل ،على كل حال عادوا إلى أبيهم وأخبروه الخبر،فزاد حزنه واشتدّ ألم فراقه ليوسف ولبنيامين؛ لكنّه تحمّل الفاجعة وتصبّر وزادا لجوءا واقترابا من اللّه، وعليه تكون أركان السياق في هذه الآية الكريمة كالآتي:

المخاطِـــب: يعقوب.

المخاطَـــب: أبناؤه.

موضوع الخطاب: إشعار أبنائه بالذّنب وعدم يأسه في عودة يوسف وبنيامين.

القصـــــد: يقينه الرّاسخ بأن شدة البلاء تعقبها سرعة الفرج .

[1]-سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12-18، ص2025 .

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ قال ابن كثير: "﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ ﴾ أي: لاتفارق تذكّر يوسف ﴿ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا ﴾ أي: ضعيف الجسم، ضعيف القوة ﴿ أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ يقولون: وإن استمرّ بك هذا الحال خشينا عليك الهلاك والتّلف ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: أجابهم عمّا قالوا بقوله ﴿ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: همّي وما أنا فيه ﴿ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ وحده ﴿ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ أي: أرجومنه كلّ خير. وعن ابن عباس: ﴿ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ يعني رؤيا يوسف أنّها صدق وأنّ اللّه لابدّ أن يظهرها وينجزها ."[1]

3- يعقوب يرسل أبناءه ليبحثوا عن ولديه،وتعرّفهم على يوسف واعتذارهم منه وعفوه عنهم.

قال سيد قطب:" ثمّ يوجّههم يعقوب إلى تلمّس يوسف وأخيه، وألاّ ييأسوا من رحمة اللّه، في العثور عليهما، فإنّ رحمة اللّه واسعة وفرجه دائما منظور: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ فيا للقلب الموصول !!! ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ تحسّسوا بحواسّكم، في لطف وبصر وصبر على البحث .ودون يأس من اللّه وفرجه ورحمته. وكلمة ﴿ رَّوۡح ﴾ أدق دلالة وأكثر شفافية. ففيها ظل الاسترواح من الكرب الخانق بما ينسّم على الأرواح من روح اللّه النّدي:

[1]- إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم،ص 991 .

﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ فأمّا المؤمنون الموصولة قلوبهم باللّه، النّدية أرواحهم بروحه، الشاعرون بنفحاته المحيية الرّخيّة، فإنهم لاييأسون من روح اللّه ولو أحاط بهم الكرب، واشتد بهم الضيق.وإنّ المؤمن لفي روح من ظلال إيمانه ،وفي أنس من صلته بربّه، وفي طمأنينة من ثقته بمولاه، وهو في مضايق الشدّة ومخانق الكروب..."[1]

" ويدخل إخوة يوسف مصر للمرة الثالثة، وقد أضرت بهم المجاعة، ونفدت منهم النّقود، وجاءوا ببضاعة رديئة هي الباقية لديهم يشترون بها الزّاد .. يدخلون وفي حديثهم انكسار لم يعهد في أحاديثهم من قبل، وشكوى من المجاعة تدلّ على ما فعلت بهم ألأيام :﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ وعندما يبلغ الأمر بهم إلى هذاالحدّ من الاسترحام والضّيق والانكسار لاتبقى في نفس يوسف قدرة على المضي في تمثيل دور العزيز، والتّخفّي عنهم بحقيقة شخصيته. فقد انتهت الدّروس، وحان وقت المفاجأة الكبرى التي لاتخطر لهم على بال، فإذا هو يترفّق في الإفضاء بالحقيقة إليهم، فيعود بهم إلى الماضي البعيد الذي يعرفونه وحدهم، ولم يطّلع عليه أحد إلاّ اللّه"[2]. في سياق هذه الآية الكريمة يخبرالله تعالى نبيه الكريم-صلّى الله عليه وسلّم- ؛إنّ إخوة يوسف بعد ما مسّهم الجوع والقحط عادوا إلى يوسف للاكتيال، يلفّهم رداء الذلّ والإنكسار يطلبون منه التصّدق عليهم والإحسان إليهم، وعليه تكون أركان السياق في هذه الآية الكريمة كالآتي :

المخاطِـــب: إخوة يوسف.

المخاطَـــب: يوسف.

[1]-سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12-18،ص2026 .

[2]- سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12-18،ص2027.

موضوع الخطاب: طلب التصدق عليهم والإحسان إليهم.

القصـــــد: تنفيذ وصية أبيهم في التحسّس من يوسف وأخيه.

قال تعالى : ﴿ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩ ﴾؟ !! ورنّ في آذانهم صوت لعلّهم يذكرون شيئا من نبراته. ولاحت لهم ملامح وجه لعلّهم لم يلتفتوا إليها وهم يرونه في سمت عزيز مصر وأبّهته وشياته"[1].سياقهذه الآية الكريمة يفيد بأنّ الله تعالى أخبرنبيّه الكريم-صلّى الله عليه وسلّم-بأنّ يوسف استدرج إخوته في كشف حقيقته، وعليه تكون أركان السياق في هذه الآية الكريمة كالآتي:

المخاطِـــب: يوسف.

المخاطَـــب: إخوة يوسف.

موضوع الخطاب: استدراجهم في كشف حقيقته.

القصـــــد: لكي لا تقع عليهم المفاجأة كالصاعقة.

"والتمع في نفوسهم خاطر من بعيد: ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴾ أئنّك لأنت؟! فالآن تدرك قلوبهم وجوارحهم وآذانهم ظلال يوسف الصّغير في ذلك الرّجل الكبير . ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي ۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠ ﴾ مفاجأة !مفاجأة عجيبة.يعلنها لهم يوسف ويذكّرهم في إجمال بما فعلوه بيوسف وأخيه في دفعة الجهالة.. ولايزيد.. سوى أن يذكر منّة اللّه عليه وعلى أخيه، معلّلا هذه المنة بالتّقوى والصّبر وعدل اللّه في الجزاء. أمّا هم فتتمثّل لعيونهم وقلوبهم صورة ما فعلوا بيوسف، ويجلّلهم الخزي والخجل وهم يواجهونه محسنا إليهم وقد أساءوا. حليما بهم وقد جهلوا.

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12-18،ص2027.

كريما معهم وقد وقفوا منه موقفا غير كريم: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ ﴾.. اعتراف بالخطيئة، وإقرار بالذّنب، وتقرير لما يرونه من إيثار اللّه له عليهم بالمكانة والحلم والتّقوى والإحسان. يقابله يوسف بالصّفح والعفو وإنهاء الموقف المخجل. شيمة الرّجل الكريم. وينجح يوسف في الابتلاء بالشّدّة إنّه كان من المحسنين﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾لامؤاخذة لكم ولاتأنيب اليوم.فقد انتهى الأمر من نفسي ولم تعد له جذور. واللّه يتولاكم بالمغفرة وهو أرحم الرّحمين .."[1]في سياق هذا المقطع القرآني يخبر الله تعالىنبيّه الكريم-صلّى الله عليه وسلّم-إنّ يوسف لمّا كشف عن حقيقته كانت المفاجأة شديدة على إخوته، فاعترفوا بخطيئتهم واقرّوا بالذّنب اتجاهه، فذكّرهم بعاقبة التّقوى والصّبر، وقابلهم بالصّفح والعفو، وعليه تكون أركان السياق في هذه الآية الكريمة كالآتي:

المخاطِـــب: إخوة يوسف.

المخاطَـــب: يوسف.

موضوع الخطاب: اعتراف بالذنب وإقرار بالخطيئة.

القصـــــد: طلب الصّفح والعفو .

4-إعطاؤهم قميصه ليشمّه أبوه فيعود بصيرا واعتذار أبنائه منه واستغفاره لهم.

" ثمّ يحوّل الحديث إلى شأن آخر. شأن أبيه الذي ابيضّت عيناه من الحزن فهو معجّل إلى تبشيره. معجّل إلى لقائه معجّل إلى كشف ماعلق بقلبه من حزن، وماألمّ بجسمه من ضنى، وماأصاب بصره من كلال﴿ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾كيف عرف يوسف أنّ رائحته ستردّ على أبيه بصره الكليل؟ ذلك

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12-18،ص2027.

ممّا علّمه اللّه. والمفاجأة تصنع في كثير من الحالات فعل الخارقة.. ومالها لاتكون خارقة ويوسف نبيّ رسول ويعقوب نبيّ رسول؟ ومنذ اللّحظة نحن أمام مفاجأة في القصّة بعد مفاجأة ،حتّى تنتهي مشاهدها المثيرة بتأويل رؤيا الصّبي الصّغير."

السياق في هذا النّص القرآني يفيد بأنّ الله تعالى أخبرنبيّه الكريم-صلّى الله عليه وسلّم- إنّ يوسف أعطاهم قميصه ليلقوه على وجه أبيهم فيعود بصيرا بإذن الله؛إنّها من بين المعجزات التي أكرم الله بها يوسف، وعليه تكون أركان السياق في هذه الآية الكريمة كالآتي :

المخاطِـــب: يوسف.

المخاطَـــب: إخوة يوسف.

موضوع الخطاب: أعطاهم قميصه وأمرهم بإلقائه على وجه أبيهم ليرتدّ بصيرا .

القصـــد: لم شمل عائلته .

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ ﴾ ريح يوسف! كلّ شيء إلاّ هذا .فما يخطر على بال أحد أنّ يوسف بعد في الأحياء بعد هذا الأمد الطّويل. وأنّ له ريحا يشمّها هذا الشّيخ الكليل! ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ ﴾ .لولا أن تقولوا شيخ خرف ﴿ لَوۡلا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ ﴾ ..لصدّقتم معي ما أجده من ريح الغائب البعيد ... ولكن المحيطين بيعقوب لم يكن لهم ماله عند ربّه، فلم يجدوا ماوجد من رائحة يوسف ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ ﴾ في ضلالك بيوسف، وضلالك بانتظاره وقد ذهب مذهب الذي لايعود.ولكن المفاجأة البعيدة تقع، وتتبعها مفاجأة أخرى:﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

..مفاجأة القميص.وهو دليل على يوسف وقرب لقياه.ومفاجأة ارتداد البصر بعد ماابيضّت عيناه .. وهنا يذكر يعقوب حقيقة مايعلمه من ربّه. تلك التي حدّثهم بها من قبل فلم يفهموه:

﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ ونلمح هنا في قلب يعقوب شيئا من بنيه، وأنّه لم يصف لهم بعد، وإن كان يعدهم باستغفار اللّه لهم بعد أن يصفو ويسكن ويستريح: ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾

ويمضي السياق في مفاجآت القصّة. فيطوي الزمان والمكان، لنلتقي في المشهد النّهائي المؤثّر المثير"[1]:ففي سياق هذا المقطع القرآني يخبر اللّه تعالى نبيّه الكريم-صلّى الله عليه وسلّم- عن حزن يعقوب الشديد على فقده يوسف وأخيه بنيامين ،حتّى ابيضّت عيناه من البكاء، فلامه أبناؤه على ذلك؛لكنّ أمله في اللّه قائم وباق، ورجاؤه في عودتهما يقينا راسخا، وعليه تكون أركان السياق في هذا النص القرآني كالآتي :

المخاطِـــب: إخوة يوسف.

المخاطَـــب: يعقوب.

موضوع الخطاب: عذل إخوة يوسف أباهم على تذكّر يوسف .

القصـــــد: شفقة بأبيـــهم .

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12-18،ص2028.

رابعا: دُخُولُ إِخوتُهُ وأَبويه عليهِ والحِكَم من القَصَص القرآني

1- دخول إخوته وأبويه عليه وتكريمهما وتحقيق الرّؤيا لسجودهم له.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ قال ابن كثير: " يخبر تعالى عن ورود يعقوب، عليه السّلام، وقدومه بلاد مصر، لما كان يوسف قد تقدّم إلى إخوته أن يأتوه بأهلهم أجمعين فتحمّلوا عن آخرهم وترحّلوا من بلاد كنعان قاصدين بلاد مصر، فلمّا أخبر يوسف – عليه السّلام – باقترابهم خرج لتلقّيهم، وأمر الملك أمراءه وأكابر النّاس بالخروج مع يوسف لتلقّي نبي اللّه يعقوب، عليه السّلام،ويقال: إنّ الملك خرج أيضا لتلقّيه، وهو الأشبه ."[1]السياق في هذا المقطع القرآني يفيد بأنّ الله تعالى أخبر نبيّه الكريم–صلّى الله عليه وسلّم–؛إن يوسف عليه السّلام لما استقر له الأمر ومكّنه الله من خزائن مصر، وبعد أن كشف لإخوته حقيقته وما كان له من استبقائه لأخيه بنيامين لديه، طلب من إخوته أن يأتوه بأهلهم أجمعين، فتحقق له ذلك ولمّا أن حان مجيئهم خرج إلى أبواب مصر. فاستقبلهم أحسن استقبال وتحققت رؤياه في سجود والديه وإخوته له، وأجلس والديه على كرسي العرش، وعليه تكون أركان السياق في هذا النص القرآني كالآتي :

المخاطِـــب: يوسف– عليه السّلام –.

المخاطَـــب: يعقوب عليه السّلام.

[1]– إسماعيل بن عمر بن كثير،تفسير القرآن العظيم، ص 993 .

موضوع الخطاب: يخبر والده بتحقّق رؤياه.

القصـــــد: شكر الله.

2-**اعتراف يوسف بنعم الله عليه وطلبه حسن الخاتمة.**

قال تعالى: ﴿ ۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١ ﴾ هذا دعاء من يوسف الصدّيق، دعا به ربّه سبحانه وتعالى، لما تمّت النّعمة عليه. باجتماعه بأبويه وإخوته، وما منّ اللّه به عليه من النّبوّة والملك، سأل ربّه سبحانه وتعالى كما أتمّ نعمته عليه في الدّنيا أن يستمرّ بها عليه في الآخرة. وأن يتوفّاه مسلما حين يتوفّاه."[1] قال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: " أعقب ذكر نعمة اللّه عليه بتوجّهه إلى مناجاة ربّه بالاعتراف بأعظم نعم الدّنيا والنّعمة العظمى في الآخرة ".[2] في سياق هذه الآية الكريمة يخبر اللّه تعالى نبيّه الكريم-صلّى الله عليه وسلّم- إنّ يوسف شكر ربّه على ماآتاه من نعم؛ حيث نجّاه من المحن وآتاه الملك وعلّمه علم التّاويل، فدعاه بأن يتمّ نعمته عليه بأن يتوفّاه مسلما،وأن يجعله في مرتبة الأنبياء والصالحين في الآخرة، وعليه تكون أركان السياق في هذه الآية الكريمة كالآتي:

المخاطِـــب: يوسف.

المخاطَـــب: الله سبحانه وتعالى.

موضوع الخطاب: يدعو الله سبحانه وتعالى.

القصـــــد: أن يتوفّاه مسلما وينزله منازل الأنبياء والصالحين في الآخرة.

[1]- إسماعيل بن عمر بن كثير،تفسير القرآن العظيم ، ص994، 995.

[2]- محمد الطاهر ابن عاشور،تفسير التحرير والتنوير، ج13، ص59 .

3- ذكر قصة يوسف أحد الأدلّة على نبوّة محمد صلّى الله عليه وسلّم.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ١٠٢ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾ قال ابن كثير :" يقول تعالى لعبده ورسوله محمد، صلوات اللّه وسلامه عليه، لما قصّ عليه نبأ إخوة يوسف، وكيف رفعه اللّه عليهم، وجعل له العاقبة والنّصر والملك والحكم، مع ما أرادوا به من السّوء والهلاك والإعدام: هذا وأمصاله يا محمد من أخبار الغيوب السّابقة ﴿ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ ﴾ ونعلمك به لما فيه من العبرة لك والاتعاظ لمن خالفك ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ ﴾ حاضرا عندهم ولا مشاهدا لهم ﴿إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ ﴾أي : على إلقائه في الجب، ﴿ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ١٠٢ ﴾ به، ولكنا أعلمناك به وحيا إليك، وإنزالا عليك ... ﴿ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ ﴾أي: وماتسألهم يامحمدعلى هذا النّصح والدعاء إلى الخير والرشد من أجر، أي من جعالة ولا أجرة على ذلك. بل تفعله ابتغاء وجه اللّه ونصحا لخلقه"[1].السياق في هذا النص القرآني يفيد أنّ الله تعالى أخبر نبيّه الكريم- صلّى الله عليه وسلّم- بأنّ هذا الوحي كلّه من عند الله سبحانه وتعالى، وانّك يا يمحمد لم تكن تعلم ماالذي جرى ليوسف من حسد ومكر إخوته وبغيهم عليه، لو لم نخبرك بهذا الوحي الكريم،وهذا كلّه تثبيتا له صلّى الله عليه وسلّم على ما لحقه من أذى المشركين، وعليه تكون أركان السياق في هذا المقطع القرآني كالآتي:

المخاطب: الله سبحانه وتعالى.

المخاطب: محمد صلّى الله عليه وسلّم.

موضوع الخطاب: تذكيره بما حدث ليوسف من إخوته.

القصد : تثبيتا له صلّى الله عليه وسلّم.

[1]- إسماعيل بن عمر بن كثير،تفسير القرآن العظيم،ص996 .

4- إعراضُ المشركين عن الإتِّعاظِ بآياتِ اللهِ في السموات والأرض والردِّ عليهم.

قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَـٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ قال سيد قطب :" والآيات الدّالة على اللّه ووحدانيته كثيرة مبثوثة في تضاعيف الكون، معروضة للأبصار والبصائر. في السموات وفي الأرض. يمرّون عليها صباح مساء،آناء الليل وأطراف النّهار. وهي ناطقة تكاد تدعو الناس إليها ...لحظة تأمّل في صبح أو مساء، في هدأة اليل أو في زحمة النّهار..لحظة واحدة يتسمّع فيها القلب البشري إلى إيقاعات هذا الوجود العجيب ..إنّ لحظة واحدة لكافية لارتعاش هذا القلب بقشعريرة الإدراك الرّهيب، والتّأثّر المستجيب. ولكنهم ﴿ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ ..لذلك لايؤمن الأكثرون"[1]!... ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ .. في سياق هذا المقطع القرآني يخبر الله تعالى نبيّه الكريم-صلّى الله عليه وسلّم- بإعراض المشركين عن آيات الله رغم معاينتهم لهافي أنفسهم وفي الكون ، وأيضا عن الأمم الغابرة فكيف مرّ بهم

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12-18،ص2032.

الزمان؟، حتّى أنّ آثارهم لا تزال شاهدة عليهم إلى يومنا هذا،ألا يكون لهم في ذلك معتبر؟، وعليه تكون أركان السياق في هذا المقطع القرآني كالآتي :

المخاطب : الله سبحانه وتعالى.

المخاطب : نبيّه الكريم صلّى الله عليه وسلّم.

موضوع الخطاب :إعراض المشركين عن آيات الله.

القصـــد : تثبيتا للرّسول صلّى الله عليه وسلّم.

" فتنطبق على من كان يواجههم رسول اللّه في الجزيرة، وتشمل غيرهم على تتابع الزّمان وتغيّر المكان. وبعد فما الذي ينتظره أولئك المعرضون عن آيات اللّه المعروضة في صفحات الوجود، بعد إعراضهم عن آيات القرآن، التي لايسألون عليها أجرا؟ ماذا ينتظرون؟ ﴿ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٠٧ ﴾ ..وهي لمسة قويّة لمشاعرهم، لإيقاضهم من غفلتهم، وليحذروا عاقبة هذه الغفلة. فإنّ عذاب الله الذي لا يعلم موعده أحد، قد يغشاهم اللحظة بغاشية تلفهم وتشملهم، وربما تكون الساعة على الأبواب فيطرقهم اليوم الرّهيب المخيف بغتة وهم لا يشعرون ...فالرّسول – صلّى اللّه عليه وسلّم – ماض في طريقه ومن اهتدى بهديه، لا ينحرفون ولا يتأثّرون بالمنحرفين"[1]: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ ...واحدة مستقيمة، لا عوج فيها ولا شكّ ولا شبهة ... فنحن على هدى من اللّه ونور، نعرف طريقنا جيّدا، ونسير فيها على بصر وإدراك ومعرفة"[2] ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12-18،ص2034،2033.

[2]-المصدر نفسه،ص2034 .

نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ إنّ النّظر في آثار الغابرين يهزّ القلوب.حتّى قلوب المتجبّرين.ولحظات الاسترجاع الخيالي لحركاتهم وسكناتهم وخلجاتهم...

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ ﴾ لم يكونوا ملائكة ولا خلقا آخر.إنّما كانوا بشرا مثلك من أهل الحاضرة،لا من أهل البادية،ليكونوا أرق حاشية وألين جانبا ... ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ فيدركوا أن مصيرهم كمصيرهم، وأنّ سنّة اللّه الواضحة الآثار في آثار الغابرين ستنالهم وأنّ عاقبتهم في هذه الأرض إلى ذهاب ﴿ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۗ ﴾ خير من هذه الدّار التي ليس فيها قرار ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ فتتدبّروا سنن اللّه في الغابرين ؟أفلا تعقلون فتؤثروا المتاع الباقي على المتاع القصير ؟...يصوّر ساعات الحرج القاسية في حياة الرّسل، قبيل اللحظة الحاسمة التي يتحقّق فيها وعد اللّه، وتمضي فيها سنته التي لاتتخلّف ولا تحيد﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾إنّها صورة رهيبة، ترسم مبلغ الشدّة والكرب والضيق في حياة الرّسل، وهم يواجهون الكفروالعمى والإصرار والجحود. وتمرّ الأيّام وهم يدعون فلا يستجيب لهم إلاّ قليل"[1].

في سياق هذه الآية الكريمة يخبر الله تعالى نبيّه الكريم؛ بأنّ مواجهة الوثنية والشرك بمرور الأيام و السنين مع قلّة المؤمنين والمصدّقين لن يثني من عزيمتهم ، وأنّ النّصر حليفهم لأنّ الصّبر والتّقوى

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن،م4،ج12-18،ص2035.

عاقبتهما الفرج واليسر، وأنّ وعد الله ماضٍ في خلقه وسننه ماضية في كونه ولا رادّ لقضائه،وعليه تكون أركان السياق في هذه الآية الكريمة كالآتي:

المخاطِـــب: اللّه عزّوجل .

المخاطَـــب: الرّسول صلّى الله عليه وسلّم .

موضوع الخطاب:"إعراض المشركين عن الاتعاظ بآيات اللّه في السّموات والأرض والردّ عليهم".[1]

القصـــــد: تثبيتاً للرسول صلّى اللّه عليه وسلّم.

5- من حِكَم القَصَص القرآني

قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١ ﴾ قال صاحب تفسير التحرير والتنوير: " أي لأنّ ذلك القصص خبر صدق مطابق للواقع وماهو بقصّة مخترعة ووجه التّعليل أنّ الاعتبار بالقصة لايحصل إلاّ إذا كانت خبرا عن أمر وقع..والهدي الذي في القصص: العبر الباعثة على الإيمان والتّقوى بمشاهدة ماجاء من الأدلة في أثناء القصص على أنّ المتصرّف هو اللّه تعالى، وعلى أنّ التّقوى هي أساس الخيرفي الدنيا والآخرة، وكذلك الرحمة فإنّ في قصص أهل الفضل دلالة على رحمة اللّه لرحمته إيّاهم في الآخرة."[2]في سياق هذه الآية الكريمة يخبراللّه تعالى نبيّه الكريم- صلّى الله عليه وسلّم -إنّ أهل العقول وذوي الألباب يستمدّون العبرالباعثة على الإيمان والتّقوى من القصص القرآني؛ لأنّ المتصرّف فيها هو اللّه تعالى، وعليه تكون أركان السياق في هذه الآية الكريمة كالآتي:

المخاطِـــب: اللّه عز وجل.

[1]-بهاء الدين رشيد،التفسير الموضوعي للحافظ المتقن، برواية حفص عن عاصم، حراء للطباعة والنشر، مملكة البحرين، ط1429،1هـ-2008م، ص 248 .

[2]-محمد الطاهر ابن عاشور،تفسير التحرير والتنوير،ج13، ص72،73 .

المخاطَـــب: رسوله الكريم صلّى اللّه عليه وسلّم.

موضوع الخطاب: الحكم والعبر من القصص القرآني.

القصـــد : تسلية الرّسول صلّى الله عليه وسلّم.

يمكن القول إنّ هذه الجولة المباركة التي قمنا بها في رحاب السياق عبر آيات ونصوص هذه السورة الكريمة، قد بيّنت وأبرزت لنا مدى أهميّة السياق كوسيلة للكشف عن المعنى المراد؛إذ أنّه يعتبر الحارس الأمين للمعنى المقصود فبواسطته نكشف عن المعنى المراد من بين المعاني المحتملة؛ لأنّ الدلالة المعجمية وحدها غير كافية للوصول إليه.

الخاتمة

من خلال ما تم إنجازه نخلص إلى مجموعة من النتائج أهمها:

– تميّز النظرية السياقية العربية على نظيرتها الغربية؛ وذلك لتضمّنها السياق القرآني.

– تضافر جهود اللغويين والبلاغيين والأصوليين والمفسرين وتوحد آرائهم في أهمية السياق ودوره في كشف المعنى .

– اهتمام الأصوليين والمفسّرين بالدراسات اللغوية المتعلّقة بالألفاظ ومعانيها؛ لفهم الوحي الكريم، واستنباط المقاصد الشرعية منه، قصد فهمها وتطبيقها.

– اهتمام الأصوليين بالسياق جعل الإمام الشافعي يورد بابا في كتابه (الرسالة) بعنوان"باب الصّنف الذي يبين سياقه معناه".

– أهم فوائد السياق الكشف عن معنى النص القرآني، وذلك باستنباط الأحكام الشرعية منه.

– تنوّع استخدام السياق في التراث العربي (الموقف، مقتضى الحال، المقام)، وتعدد أنواع السياق القرآني في سورة يوسف، وغلبة سياق المقطع أو النص القرآني على سياق الآية فيها.

— توحد أركان السياق في أغلب أنواعه في سورة يوسف؛لأنها تحكي في مجملها قصّة يوسف.

— السياق يساهم في تماسك النص القرآني، خاصة القصصي، ففي سورة يوسف نجد أنّه أكسبها لحمة واحدة، وذلك لتعرّضها في صورة إجمالية لقصّة يوسف.

قائمة المصادر والمراجع

*- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

المصـــــادر والمراجع:

1) إبراهيم بن عمر(البقاعي)،نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة مصر.
2) إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقس، الجمهورية التونسية، 1986 .
3) أبي بكر محمد بن أبي محمد القاسم (الأ نباري)،الأضداد،تح:محمد أبو الفضل إبراهيم،وزارة الإرشاد والأنباء،الكويت،1996.
4) أحمد بن علي بن حجر(العسقلاني) ، لسان الميزان،تح:عبد الفتاح أبو غدّة،دار البشائر الإسلامية، بيروت لبنان،ط1، 1423هـ-2002م،ج5.
5) أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، م3.
6) أحمد بن فارس بن زكريا،ألصاحبي،تع:أحمد حسن بسج،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،ط1418،1هـ1997م.
7) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط:5 1998 .
8) إسماعيل بن عمر(بن كثير) ، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1420هـ، 2000م .
9) بهاء الدين رشيد ،التفسير الموضوعي للحافظ المتقن، برواية حفص عن عاصم، حراء للطباعة والنشر، مملكة البحرين، ط1429،1هـ-2008م .
10) جلال الدين (السيوطي) ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مكتبة دار التراث، القاهرة، ج1، ط3 (دت).
11) جلال الدين محمد بن عبد الرحمن(الخطيب القز ويني)،،الإيضاح في علوم البلاغة،تح:إبراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،ط1424،1هـ-2003م.

12) جمال الدين ابن مكرم(ابن منظور)،لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، م10، ط6.

13) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982،ج1.

14) الخليل ابن أحمد (الفراهيدي)، العين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط،2002. مجلد 2.

15) ردة الله بن ردة، دلالة السياق، رسالة دكتوراه ن كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، فرع اللغة، مكتبة الملك فهد ، ط1، 1423هـ.

16) ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر : كمال محمد بشير، مكتبة الشباب .

17) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط 11، م4، الأجزاء 12 ،18.

18) شمس الدين أحمد بن محمد (بن خلكان)،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تح:محمد محي الدين عبد الحميد،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، مصر ،ط1 1948م،ج1،ص463،464.

19) شمس الدين محمد بن أحمد(الذهبي) ،سير أعلام النبلاء،تح:حسين الأسد،مؤسسة الرسالة،بيروت لبنان،ط2، 1402هـ-1982م،ج6،ص 208،209.

20) شهاب الدين السيد محمود (الالوسي)البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح:أبو عبد الرحمان فؤاد بن سراج عبد الغفار، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، م7، ج12.

21) عبد الفتاح عبد العلم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث .

22) عبد القاهر(الجرجاني)،دلائل الإعجاز،تح:محمود محمد شاكر،مطبعة المدني،القاهرة مصر،ط1، 1991م.

23) عبد الله بن على بصفر، عبر ودلالات من سورة يوسف، دار نور المكتبات، جدة، السعودية، ط1، 1426هـ، 2005م .

24) عبد المنعم خليل،نظرية السياق بين القدماء والمحدثين،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية-مصر،ط2007،1م.

25) علی بن أحمد(الو احدي) ، أسباب نزول القرآن، تح: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ،1991م.

26) عمرو بن بحر(الجاحظ)،البيان والتبيين،تح: عبد السلام محمد هارون،مطبعة المدني،القاهرة مصر،ط7 ،1418هـ ،1998م،ج1.

27) عمرو بن عثمان(سيبويه)،الكتاب،تح:عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي،القاهرة،مصر ،ط3 ،1408هـ،1988م،ج1.

28) المثنى عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني،دار وائل للنشر،عمان الأردن،ط2008،1م.

29) مجد الدين محمد بن يعقوب (الفيروزآبادي)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز،تح:محمد على النجار، القاهرة، مصر، ط3، 1416 هـ، 1996م، ج1.

30) مجمع اللغة العربية لجمهورية مصر، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م

محمد ابن أبي بكر بن أيوب(ابن قيم الجوزية)،بدائع الفوائد، تح: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، جدة.السعودية، م4.

31) محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1401هـ.

32) محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ج12،1، 13،1984.

33) محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى ألبابي الحلبي وأولاده بمصر، جمهورية مصر العربية، ط1، 1934.

34) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ، ط1، 1421هـ، 2001م ،م 7.

35) محمد عبد اللّه درّاز، النبأ العظيم، نشر وتوزيع دار الثقافة، الدوحة قطر، 1405هـ 1985م .

36) محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت لبنان، ط2 ،2007م .

37) مقبل بن هادي الوادعي، الصّحيح المسند من أسباب النّزول، مكتبة صنعاء الأثرية، صنعاء، اليمن، ط2، 1425هـ، 2004م .

38) مناع القطان مباحث علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط7 .

الرسائل الجامعية:

39) عبد الرحمن عبد اللّه سرور جرمان المطيري،السياق القرآني وأثره في التفسير ،رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، إشراف د خالد بن عبد اللّه القرشي، جامعة أم القرى،مكة المكرمة ،المملكة العربية السعودية، 1429هـ 2008م.

40) علي حميد خضير، دلالة السياق في النص القرآني، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في اللغة العربية وآدابها،إشراف:عبد الإله الصائغ، الأكاديمية العربية في الدانمارك،كوبنهاجن، الدانمارك.

مقالات

41) محمد أبو زيد، الترجيح بين دلالة السياق وأسباب النزول، مجلة جامعة دمشق، المجلد 28، العدد 3+4، 2012 ،دمشق،سورية.

42) محمد إسماعيل بصل وفاطمة بله، ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، العدد 18، 1393هـ.س/2014م، جامعة تشرين،اللاذقية،سورية.

فهـــرس

المحتـــويات

الموضـــوع **الصفـــحة**

شكر وعرفان

مقدمـــة

مدخـــــل : مفهوم السياق

أولا :تعريف السياق 8

1-السياق لغة 8

2-السياق اصطلاحا 8

ثانيا : السياق في التراث العربي وعند الغرب 9

1-السياق في التراث العربي 9

ا-السياق عند اللغويين.....9

ب-السياق عند البلاغيين.....11

1-السياق والنظم.....13

د-السياق عند الأصوليين 14

هـ-السياق عند المفسّرين 15

2-السياق عند الغرب 16

ا-الإرهاصات الأولى للسياق عند الغرب 16

ب-أسس نظرية فيرث ونقدها 17

ثالثا:أنواع السياق.....18

1-السياق اللغوي.....19

2-السياق العاطفي 20

ج-سياق الموقف.....21

د-السياق الثقافي.....22

الفصل الأول:السياق القرآني وأركانه في آيات السجن وما قبله

أولا:السياق القرآني وأنواعه 24

1-تعريف السياق القرآني 24

2-أنواع السياق القرآني 24

ا-سياق القرآن.....25

ب-سياق السورة.....26

ج-سياق المقطع أو النص.....26

د- سياق الآية.....27
3-خصائص السياق القرآني.....27
4-أهمية السياق القرآني.....27
ثانيا: التعريف بسورة يوسف ومقاصدها.....28
1-التعريف بسورة يوسف.....28
2-مقاصد سورة يوسف.....28
ثالثا:أنواع السياق القرآني في سورة يوسف وسبب نزولها والعلاقة بينهما.....30
1- السياق العام للسورة.....30
2- سبب نزولها.....32
3- علاقة السياق بأسباب النزول.....33
4- أنواع السياق القرآني في سورة يوسف.....34
رابعا: تحليل السياق وأركانه في سورة يوسف.....37
1- من صفات القرآن الكريم ويتضمن أحسن القصص.....37
2 - رؤيا يوسف ورأي أبيه فيها.....39
3 - يوسف وإخوته واتفاقهم على ألقائه في الجب.....43
4- تنفيذ مكيدتهم.....45
5-إخراج يوسف من الجب بالدلو وبيعه لأهل مصر.....50

الفصل الثاني: السياق وأركانه في سورة يوسف

أولا:شيوع خبر امرأة العزيز في المدينة وأحداث يوسف في السجن.....61
1-شيوع خبر امرأة العزيز في مصر وموقفها منه.....61
2-أحداث يوسف في السجن.....66
3-رؤيا ملك مصر و تأويل يوسف لها.....73
4-الملك يطلب خروج يوسف من السجن،ويوسف يرفض حتّى تظهر براءته.....76
ثانيا:خروج يوسف من السجن ورجوع إخوته إليه بصحبة أخيه.....82
1- خروجه من السجن وطلبه أن يكون على خزائن الأرض في مصر وحصول ذلك له.....82
2-لقاؤه معإخوته حيث عرفهم دون أن يعرفوه،وطلب أخيه منهم وردّ الثمن دون علمهم.....84
3-إخوة يوسف يقنعون أباهم أن يرسل معهم أخاهم بنيامين إلى مصر.....87
4-وصية يعقوب لأولاده.....89
5-رجوع إخوة يوسف إليه بصحبة أخيه الذي طلبه والمكيدة التي دبّرها لاستقباله لديه.....91

ثالثا: معاتبة إخوة يوسف بعضهم بعضا،وإعطاؤهم قميصه ليشمه 97
1-معاتبة بعضهم بعضا ورجوع إخوة يوسف إلى أبيهم واعتذارهم عمّا أصيبوا به 97
2-عدم تصديق يعقوب أبناءه وإصابته بالعمى لشدة حزنه ثمّ التجاؤه إلى الله 99
3-يعقوب يرسل أبناءه ليبحثوا عن ولديه،وتعرّفهم على يوسف واعتذارهم منه وعفوه عنهم.....100
4-إعطاؤهم قميصه ليشمه أبوه فيعود بصيرا واعتذار أبنائه منه واستغفاره لهم 104
رابعا:دخول إخوته وأبويه عليه والحكم من القصص القرآني 106
1- دخول إخوته وأبويه عليه وتكريمهما وتحقيق الرؤيا بسجودهم له.....106
2-اعتراف يوسف بنعم الله عليه و طلبه حسن الخاتمة.....107
3-ذكر قصّة يوسف أحد الأدلة على نبوّة محمد صلّى اللّه عليه وسلّم 108
4-إعراض المشركين عن الاتعاظ بآيات الله في السموات والأرض والردّ عليهم.....109
5- من حكم القصص القرآني.....112
الخاتمـــــــــــــة 115
قائمة المصادر والمراجع.....117
فهرس المحتويات 122

ملخــص

حاولنا من خلال هذا البحث إبراز دلالة السياق ودوره في فهم النص القرآني، وتحديدا في سورة يوسف؛ حيث حددنا مفهوم السياق وأنواعه مع توضيح ملامح استخداماته في التراث العربي،وانفراد الدرس العربي بالسياق القرآني، ثمّ تطرقنا إلى الإرهاصات الأولى التي تبلورت من خلالها النظرية السياقية الغربية، كما عرضنا السياق العام للسورة وعلاقته بأسباب النزول،ثمّ قمنا بعد ذلك بدراسة أركان السياق في السورة المدروسة وخلصنا إلى أهميته الكبرى في الوقوف على مراد الشارع الحكيم، واستنباط الأحكام الشرعية.

Abstract

The present research was an attempt to highlight the context's signification contribution in the comprehension of qur'anic text. To achieve this study the surah of "youcef " was selected as a specimen.

As a first step , the concept of "context" was delimited and its types were distinguished. In order to reveal the particularity of the qur'anic context, some of its usages in the arabic heritage were also exposed. Then the beginnings of the " context theory " in the occidental semantic studies were explored, and the general context of the examined surah was introduced taking into account its relationship with the historical data "Asbab Ennouzoul".

The findings of the study showed the great importance of the "context" in grasping the legislator's intention and deducing sharia laws.